قضية فلسطين

بين الأمس واليوم

للعلامة الفقيه المحدِّث والداعية المفكِّر

محمّد تقيّ العُثمانيّ

جمع وتعريب وتعليق

عبد الوهّاب سلطان الدِّيرويّ

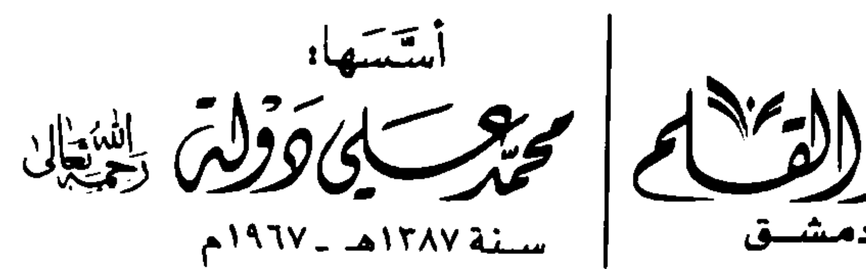


دار القلم

دمشق


قضية
فلسطين
بين الأمس واليوم





الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٤م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

قضيـة فلسطين

بيـن الأمـس واليـوم

مجموعـة كتـابات وخطـابات تتناول قضيةَ فلسـطين
مـن ناحيتها التـاريخية والدينيـة والسياسيّة والفكريّة
ومـا يجـب تجـاهها على المسلمين حكوماتٍ وشعوباً

للعلامة الفقيه المحدِّث والداعية المفكِّر

محـمّـد تـقـيّ العُـثمـانيّ

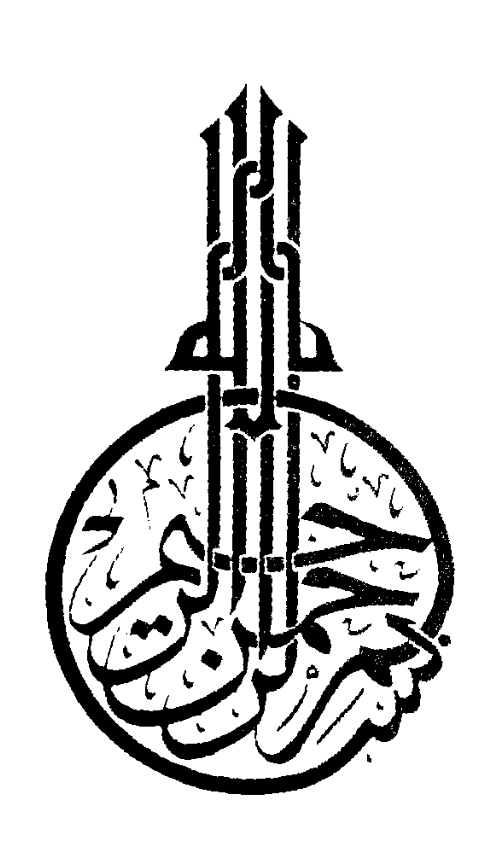
جمع وتعـريب وتعليـق

عبد الوهّاب سلطان الدِّيرويّ

أسـتاذ بجـامعة دار العـلوم ـ كراتشي



دمشـق





الحمد لله رب العالمين والصَّلاةُ والسَّلام على سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى كلِّ من تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، وبعدُ:

• **فقد كانت بدايةُ شغفي بقضيّةِ فلسطين في عام (١٩٥٦م) وأنا ابن ثلاث عشرة سنةً،** حين هجمتْ بريطانيا وأمريكا لإمداد إسرائيل في فلسطين، وكانت باكستان تحمي هذه القضيَّةَ حكومةً وشعباً، وقد أُتيحَت الفرصةُ لعامَّة المسلمين أن يذهبوا إلى فلسطين لدعمٍ ماليٍّ وحربيٍّ لإخوانِهم في تلك الأراضي.

وقد نظَّم والدي العلَّامة الشيخُ المفتي محمَّد شفيع رحمه الله تعالى دوراتٍ تدريبيَّةً عسكريَّةً في جامعة دارالعلوم كراتشي، شاركتُ فيها أنا وأخي العلَّامة الشيخ المفتي محمَّد رفيع العثمانيُّ رحمه الله تعالى، مع جَمعٍ من الطلَّاب؛ شوقاً

إلى المشـــاركة في هذا الجهاد، ولكنْ شاءتِ الأقدارُ أن تنتهي هذه الحربُ في أيَّامٍ قليلةٍ، ولم نتمكَّن من أن نسعَد بالمشاركة في الجهاد.

ثـــمَّ يسَّـــر الله تعالى لـــي أن أكتـــبَ حولَهـــا بعضَ الافتتاحيَّات في مجلَّة البلاغ؛ وذلك في فترات مختلفة من تاريخِها، ولاسيَّما بعدَ انتكاسة العرب المؤسِفة في حربها عام (١٩٦٧م) وما يليها.

• ولم تزل القضيَّةُ الفلســطينية تشــغَل قلبي وعقلي، حتَّى اتَّخذَت بعد معركة السابع من أكتوبر للعام (٢٠٢٣م) منحًـــى جديـــداً، ومـــلأ التفكيرُ فيهـــا قلبـــي ووجداني وجوانحـــي، بحيـــث لا أســـتطيع التعبيرَ عن مشـــاعري تجاهها، إلَّا ما وفَّقني الله تعالى لإلقائه من كلماتٍ خلال خُطب الجُمَعة، وبعض المناسبات الهامَّة.

• وقد قام أخي وصاحبي الفاضل الأستاذ عبد الوهَّاب الدِّيروي ـ حفظه الله تعالى ـ بجمعِ تلك الكتابات وهذه الكلمات، ثـــمَّ تعريبِها، وتخريج ما يلـــزم من نصوصها؛ ليضعَها بين أيدي الإخوان العرب بعنوان: «قضيَّةُ فلسطين بين الأمس واليوم».

وقد قرأتُ هذا التَّعريب، ولا يسَعُني إلَّا أن أقول: إنَّه أعجبَني أنَّـــه لم ينقل التعبيراتِ الأُرديَّـــة إلى العربيَّة بما يحتفظ بمضمونها فحسبُ، بل نقل العواطفَ الكامنةَ في أصلِها الأرديِّ، فجزاه الله تعالى خيراً.

وأســـأل اللهَ تعالى أن يُبارك في علمِه وعمرِه، ويتقبَّله في جنابه، وينفع به العباد والبلاد.

محمَّد تقي العُثمانيُّ

٢٤ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ

٩ ديسمبر ٢٠٢٣م





بين يــدَي الكتــاب

• **نحن الآن أمامَ محاوَلةٍ متواضعةٍ لترجمة وتعريب كتابات سماحة شيخنا العلَّامة محمَّد تقي العثماني (حفظه الله تعالى ونصره وأيَّده)، وخطاباته الصريحة الحكيمة تجاهَ قضية فلسطين،** والَّتي تتضمَّن فكرَه ودعوتَه على مرِّ الخمسين سنةً الماضية، وفي فتراتٍ متقطِّعة من التاريخ.

وبحقٍّ، فقد كنتُ أجدني قاصراً أمامَ هذه الكتابات السامية، والأفكار العالية، ولغتِها القويَّة البليغة الراقية، مُعترفاً بعجزي عن إيفائها حقَّها من الترجمة والتعريب.

وإذا ترجمتُ حروفَها وكلماتِها؛ فمَن لي بتلك الروح المخلِصة المتفانيةِ في الله، السارية في تعابيرها، وتلك الحُرقة القلبيَّة المؤثِّرة السَّابحة في فقراتِها، فضلاً عن

سلاســتها المتدفِّقة، وبلاغتِها المتميِّزة، الَّتي تجري في أساليبها جريانَ الدم في الشرايين.

ولكنِّي - ومع اعترافي بِهذا التقصير - إنَّما تجاسرتُ على ترجمتِها لأُلبسَــها هــذا اللِّبــاس الفضفاض من حروفي وكلماتــي؛ لأَعرضَها على الأقلِّ أمــامَ القراء العــرب الكرام، فعســى أن يُقيِّــض الله تعالى من بين أدبائِهم المجيدين من يَعي رسالتَها، ويهضِمها، فيُلبسها لباســاً متلائماً مع قيمتِها الفكريَّة، وقامتِها اللغويَّة، ثمَّ يُحكِمها إحكاماً، فيكون لي أجرُ التوسُّط بين شخصيَّة عظيمة موفَّقة بحجم سماحةِ شيخنا العلَّامة العثماني، وبين السادة العرب، ويكون له أجرُ إتمامها وإحكامِها، والله لا يُضيع أجرَ المُحسنين.

• سنجد بين دفَّتَي هذا الكتيِّب مجموعةً من الخطابات الصَّريحة الَّتي وجَّهها ســماحتُه إلى العالم الإسلامي من على منبر الجمعة في جامع دار العلوم كراتشي، في أعقاب معركة طوفان الأقصــى الَّتي حمِي وطيسُــها ضدَّ الكيان الصهيوني المحتلِّ في السابع (٧) من أكتوبر عام (٢٠٢٣م) في أرض القبلة الأولى، وأرض الإسراء والمعراج.

وألحقتُ بِها الكتابات الَّتي سبق وأن سجَّلها قلمُه الأدبيُّ السَّلسال في صفحات مجلَّة «البلاغ العربيَّة» عند انتكاسة العرب في حرب الأقصى عام (١٩٦٧م) وما بعدَها.

علماً منَّا بأنَّ مجلَّة البلاغ الغرَّاء كانت تُمثِّل يومئذٍ منبراً فكريّاً دعويّاً، لم يزل يوجِّه سماحتُه ـ على مدار خمسين سنةً ـ مِن علاه رسائلَه الحكيمة، ونصائحه البليغة، إلى الحكَّام والأمراء، والأفراد والجماعات، ويدعوهم من خلال افتتاحيَّاتِها الصَّريحة إلى تبنِّي أحكام الشريعة الإسلامية في أصعدة الاقتصاد والسياسة، والتعليم والقانون، والصحافة والأدب.

• **وكان لهذه الكتابات** ـ بفضلِ ما تتَّسم به من نكهة الإخلاص، وثَراء المادَّة، وصلاحيَّة التطبيق العصريِّ ـ **صداها المسموع** في دواوين الحُكَّام والأمراء، ومثلَه في مجالس الفكر والتشريع الإسلاميِّ، والأوساط الأكاديميَّة والشعبيَّة.

وقد غَدَتْ جُملةٌ صالحةٌ من هذه المقالات فيما بعدُ كتباً مستقلَّةً بين دفَّتَين، تتناول آراءَ سماحته وأفكاره النيِّرة المُشرقة في مجالات التعليم، والاقتصاد،

والسياســة، والقانون، والصَّحافة، والفكــر، والدعوة، وشؤون الوطن، وقضايا العالم الإسلاميِّ.

• **وإنَّ الكتابات والخطابات الَّتي بين أيدينا في هذه المجموعة تُترجم لنا بعضَ ما يتميَّز به ســماحةُ شيخنا العثمانيِّ من الاهتمام البالغ بقضايــا الأمَّة بصفةٍ عامةٍ، وبقضية فلسطين بصفةٍ خاصَّةٍ**، ونكاد نستشفُّ من وراءِ سطورها تحرُّقَه القلبيَّ الشــديد من أجلها، علاوةً على تعاطفه معها بكلماتِــه وخطواتِه المســتطاعَة، دون أن يخاف في ذلك لومةَ لائم، ما دامت متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية ومتطلَّباتِها، فضلاً عن مواقفه العلميَّة، وجهودِه الميدانيَّة، ومشاعرِه «المجلسيَّة» الَّتي لم يتناولها القلم بعدُ... ويشهد الشــاهدون كيف أنَّ وضعَ الإخوة المسلمين المقهورين في غزة وفلسطين يؤرِّقه، ويشغل بالَه ليلَ نَهار.

وسنعرف من خلالِها أن موقفَه العلميَّ الرصين تجاهَ قضية فلســطين ليس وليد الظروف المتغيِّــرة، وإنَّما هو موقفٌ أصيلٌ، نابعٌ من صميم دراساته الفقهية، ومراجعاتِه التاريخيَّة، ومشاهداتِه الميدانيَّة.

• قبلَ أعوام، وبينما كان يتحدَّث إلى بعض رفاقه أثناءَ رحلته إلـــى قبرص عن قضايـــا الأمَّة، تطــرَّق إلى قضيَّة فلسطين بما مفادُه:

«**يظنُّ البعضُ أنَّ بلايا فلســطين ســببُها ضعــف أهلِها إيمانيّاً، هذه الفكرة غير صحيحة، الواقع أنَّ مســتوى إيمانِ الشعب الفلسطينيِّ أرفع من سائر الأمة بكثيرٍ،** ويتجلَّى ذلك فيما نُشــاهد من أطــوارِ كلِّ طفلٍ من أطفالِهــم ـ فضلاً عن كبارِهم ـ؛ عندما نراهم يقاوِمون الجيش الإسرائيليَّ بأحجارٍ».

وقد أثبتت معركــةُ طوفــان الأقصى الحاليَّــة مقولةَ سماحته حرفيّاً، حيث جدَّد الشعبُ الفلسطينيُّ الباسل في غزَّة إيمانَ الأمَّة بشجاعتِهم، المستمَدَّة من صميم إيمانِهم، وبالصمود في وجه العدوِّ الغاشــم المحتلِّ، الذي يفوقه أضعافاً مضاعفةً في عدَّته وعتاده، وتُسانده الدُّول الغربية الكُبرى بأحدث أنواع الأسلحة، وأجهزة الحرب.

• **وبحكــم مــا رزق الله تعالى ســماحتَه مــن التأثير والمرجعيَّة، وما كتَبَ له من القبول والشــعبيَّة**، فإنَّ الإقبالَ على أفكار الشيخ وآرائه في قضايا العصر المستجدَّة لم يزل في تزايدٍ، وقد شهدت المؤسَّسات المعنيَّة بتقييم شخصيات

العالم أنَّ سماحتَه يتبوَّأ المرتبةَ الأولى من بين الشخصيات العلميَّة الأكثر تأثيراً في العالم كلِّه؛ بما فيه العالَم الإسلاميُّ بشقَّيه: العجميِّ والعربيِّ، والعالَمُ الغربيُّ الأوروبيُّ كذلك.

ومن ثَمَّ كانت الحاجةُ ـ ولم تزل، ولا تزال ـ ماسَّةً إلى إبراز وبلورة أفكار سماحتِه الَّتي جاءت باللُّغة الأردية، من طيِّ الملفَّات، إلى حيِّز الظهور، ومحاولة عرضها أمامَ العالَم باللُّغة العربيَّة الَّتي تُعدُّ هي اللُّغة الرسمية المشتركة للعالم الإسلاميِّ، لِكي تُسهم في توجيه المسلمين وترشيدهم في قضاياهم.

• **وإذا كان سماحةُ شيخنا العلَّامة محمد تقي العثماني (حفظه الله تعالى ذُخراً للأمة) بلغَ بفضلٍ من ربِّه، وتوفيقه الخاصِّ، مبلغَ الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، وما يدور في فلكه من الفنون والعلوم بشهادةِ أهلِه، فإنَّه يتبوَّأ مكانةً مشهوداً لها بالفضل في محاريب الفكر والدعوة، والإصلاح والتوجيه.**

ولا غروَ، فقد تشرَّب العلمَ ومنهجَه الفكريَّ الدعويَّ المتَّزن الحكيم في صحبة والده العلَّامة المفتي العامِّ محمد شفيع العثماني رحمه الله تعالى، كما تخرَّج في مدرسة التزكية

والإصلاح والتوجيه على يدي شيخه الربَّاني الدكتور عبد الحي العارفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بالإضافة إلى ما استقاه من توجيهات العلَّامة المفكِّر أبي الحسن الندوي عندما كان يراسِله ليستشيره في مهمَّاته الميدانيَّة.

وقد حالفه التوفيق الإلٰهيُّ بعد ذلك، فَقُدِّر له من القبول والتأثير في العالم الإسلامي والعربي ما جعله يسدُّ فراغَ العلَّامة أبي الحسن الندوي في شعبيته الموهوبة في العالم الإسلاميِّ؛ فقد تكاثرت مشاركاته ومساهماته عضواً مؤسساً في الهيئات والمؤسَّسات العالميَّة، أو ضيفاً زائراً في الجامعات والمؤتمرات الدوليَّة العربية، ومن ثمَّ فإنَّ العالِمَ الربانيَّ والمصلح الباكستاني الشهير الشيخ حكيم أختر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يدعوه بـ: «**پاکستان کا علی میاں**» (أبي الحسن الباكستانيّ).

ولا ريب، فهو الذي يقتدي ويسير في كلِّ خطواته مقتفياً سيرةَ السَّلف الصَّالحين؛ من الأئمة المُصلحين الربانيِّين، والفقهاء المجدِّدين، والمفكِّرين المسلمين، ويحذو حذوَهم النعلَ بالنعل... يشهد بذلك كلُّ من رآه ولازمه وتابع مواقفَه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

• أســـأل الله تعالى أن يُديـــم علينا ظلالَـــه الوارفة الظليلة، في صحة وعافية تامَّتَين ســـابغتَين، وأن يتقبَّل جهدَ الترجمة في جنابه، وينفع بها مثلَ أصلها، ويجعلها في ميزان حسناتنا جميعاً.

عبد الوهَّاب الدِّيروي

أستاذ بجامعة دارالعلوم كراتشي

ومساعدٌ في المكتب العلمي لرئيسها

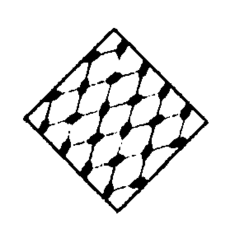
سيِّدنا العلَّامة العثماني حفظه الله تعالى

١٨ جُمادى الأولى ١٤٤٥هـ

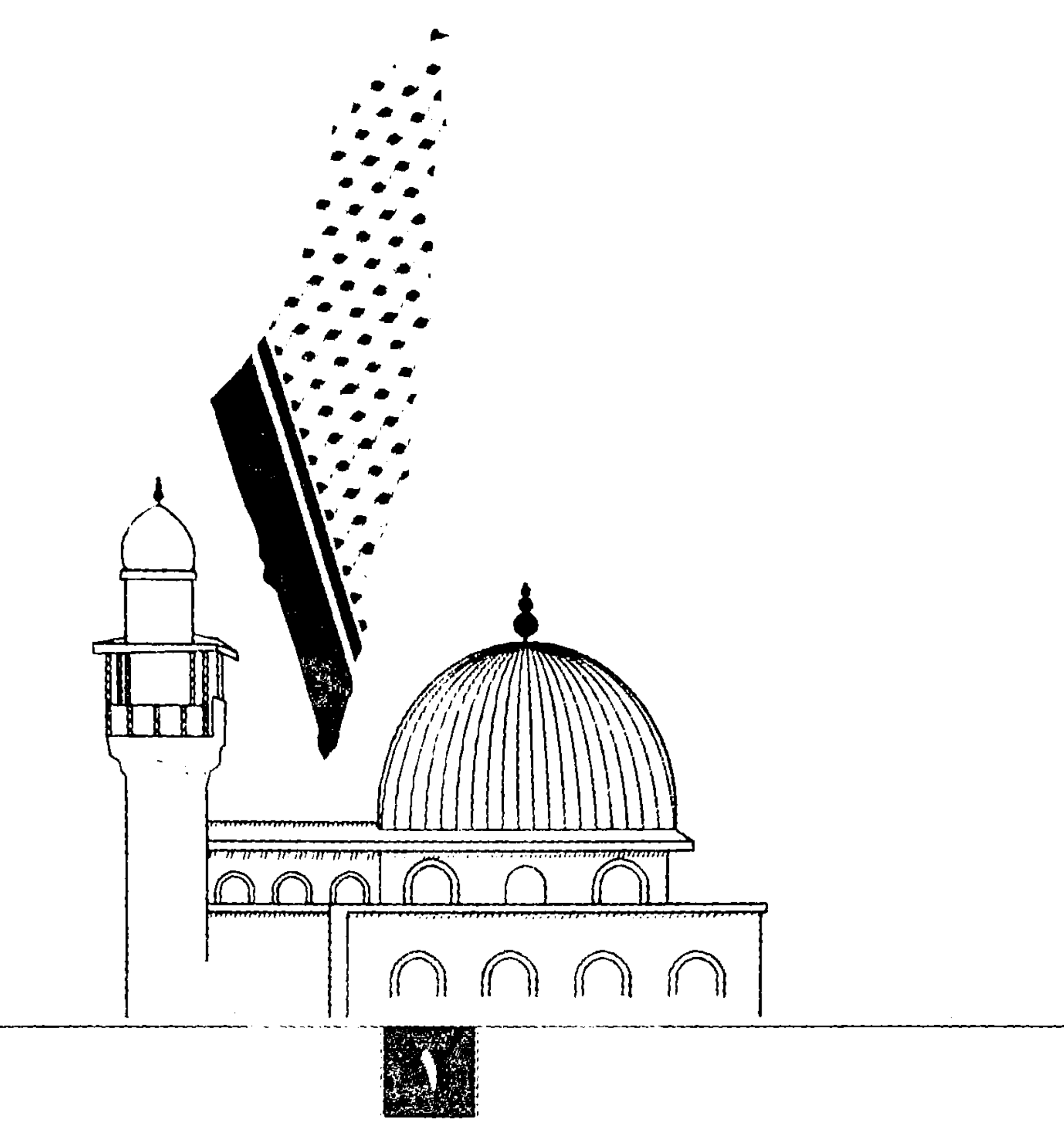


الفصل الأوَّل

فلسطين بالأمس



(يتناول هذا الفصلُ الكتاباتِ الَّتي تمَّ نشرُها في عام (١٩٦٧م) وما بعدَها)



١

انتكاسة العرب في حرب الأقصى (١٩٦٧م)
أسباب وحلول

(نُشرت عام (١٩٦٧م = ربيع الأول ١٣٨٧هـ) كافتتاحيَّة صريحة لمجلة البلاغ الأردية، الصَّادرة عن جامعة دار العلوم كراتشي، بقلم مديرها العلَّامة المفكِّر الفقيه محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى، والمقال ملؤه التحسُّر النابع عن قلب مكلوم محترق بلهيب هذه الكارثة، ولكنَّه ممزوج في الوقت نفسِه بالأمل والدعوة إلى النهوض والعمل، ويستعرض أسبابَ الهزيمة النكراء في أسلوب كاتبٍ أديبٍ، وصراحةِ ناصحٍ أمين، وواقعيَّة متابع خبير، ثم يقترح الرُّؤى والحلولَ بعقليَّة مفكِّر بصيرٍ، ودراسة فقيه قدير. حفظه الله تعالى ذُخراً للأمة).

عبد الوهَّاب

• **زفراتُ ألَمٍ وحُزنٍ:**

في نهاية المطاف حانَ للعرب أن يَلْقَوا هزيمتَهم على يد الكيان الإسرائيلي.

وزادَها مرارةً أنَّ العــربَ الذين صمَّموا على تخليص فلســطين من براثن المحتــلِّ فقدوا مناطــقَ من صميم أوطانِهم بمساحة أربعة وعشرين ألف كيلومتر مربع.

فيا أســفاه، قد ســلَبت أيادي العدوُّ منَّا قِبلتَنا الأولى المتمثِّلة في بيت المقدس...

سلبونا هذه البقعةَ المباركة الَّتي كانت ولم تزل ترتجُّ فضاءاتُها بتكبيرات الأذان خمس مرَّات كلَّ يوم...

البقعة الَّتي لم تزل تفوح أرضُها بنفحات آلاف الأنبياء الكرام؛ مئةِ ألف نبيٍّ وأكثر!...

وقعوا في فخٍّ عدوٍّ خبيثٍ ماكرٍ... العدوِّ الذي لا يوجد في قاموسه كلمةٌ ترادِف الأمنَ والعدلَ والكرامةَ والنُّبْلَ والخُلُق.

• **يرسم العدوُّ تاريخاً دمويّاً:**

تحوَّلت صحراءُ «سيناء» الَّتي كانت تُمثِّل في يومٍ من الأيام «متاهــة»[(١)] يتيه فيهــا اليهود؛ إلى موطئ تدوســه دبَّاباتُهم المغمورة بنشوة الانتصار.

وتحوَّلَ جبل «الطُّور» الذي كان أعلاه مهبطاً للتجلِّي الإلٰهيِّ، وكان أســفله موردِاً لقهرهم؛ إلــى معلَمٍ ترفرف أعلاه رايةُ اليهود ذات النجوم...

وتحوَّلت أراضي الشام والأردن وبيت المقدس الَّتي ســمَّاها القرآن الكريم أرضاً مباركة[(٢)] ومقدَّســة[(٣)]؛ إلى

---

(١) جاء في التنزيل العزيز: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦]، قال اليعقوبي في تاريخه (ص ١٤، بترقيم الشــاملة آليّاً): «ولمَّا كانت ســنة أربعين من مقامهم في التيه، وهي برية سيناء... إلخ».

(٢) إشــارة إلى ما جاء في التنزيل العزيز: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

(٣) كما في جاء التنزيل العزيز: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١]، قال السيوطي في الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٧/٣): أخرج ابْن جرير: عَن مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾، قَالَ: هِيَ الْمُبَارَكَة. وَأخرج ابْن عَسَاكِر: عَن معَاذ بن جبل، قَالَ: الأَرْض =

أرضٍ ملطَّخةٍ بدماء حمَلَةِ القرآن، حيث يرسم هؤلاء الذين يدَّعون أنفسَهم أبناء الله تاريخاً دمويّاً جديداً، كلُّه وحشيةٌ وعدوانٌ وإجرامٌ.

تَلاعبوا بدماء المسلمين وأعراضِهم وممتلكاتهم، وسلخوا جلدَ الإنسانية عن أنفسِهم، وجرَّدوها عن قِيَمِها ومُثُلها، واتخذوا من معاهدات «جنيف»[1] (Geneva Convention)

= ما بين الْعَرِيش إِلَى الْفُرَات. وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَعبد بن حميد: عَن قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾، قَالَ: هِيَ الشَّام.

(١) **اتفاقية جنيف**: هي مجموعة مؤلَّفة من أربع اتفاقيات دولية؛ تمَّت الأولى منها في عام (١٨٦٤م)، وآخرها في عام (١٩٤٩م)؛ تتناول حمايةَ حقوقِ الإنسان الأساسية في حالة الحرب، أي: طريقة الاعتناء بالجرحى والمرضى وأسرى الحرب، وحماية المدنيين الموجودين في ساحة المعركة، أو في منطقة محتلة... إلى آخره. دعت إلى الاتفاقية الأولى اللجنة الدولية لإغاثة الجنود الجرحى الَّتي تأسست في عام (١٨٦٣م). (أصبحت تسمى بدءاً من عام (١٨٧٦م) وإلى اليوم بـ: اللجنة الدولية للصَّليب الأحمر) الصَّليب الأحمر كمنظمة دولية محايدة لمعالجة شؤون الجرحى وأسرى الحرب.
عند صياغة الاتفاقية الرابعة في عام (١٩٤٩م) تمَّ كذلك تعديل نصوص الاتفاقيات الثلاث السابقة، ودمج النصوص الأربعة في اتفاقية موحَّدة.
تلحق باتفاقية جنيف ثلاثة بروتوكولات؛ وهي: عبارة عن إضافات وتعديلات للاتفاقية الأصلية. تم إلحاق البروتوكولات بين عام (١٩٧٧م)، وعام (٢٠٠٥م).

وأمثالِها وَقــوداً لهذه النَّار الَّتي أشــعلوها لإحراق أبطال الحقِّ ورافعي راياتِ التوحيد.

• أكبر قضية تشغل همَّ المسلمين:

ولا ريب أنَّها أكبر قضيةٍ تشغل بالَ المسلمين، وتُدمي قلوبَهم، وتُدمــع عيونهم! ولــن يغير اللَّعــب بالألفاظ والكلمات مفاهيمَ الحقِّ الواقع.

فلقد حان الأوان أن يعترفوا بأنَّها هزيمة، أيّ هزيمة، هزيمة يندر نظيرها في تاريخ المسلمين، حيث تهبُّ قوة صغيرة لا تعدو مساحتُها ثمانية آلاف كيلومتر مربع لتُدمِّر قوة عربيةً أكبر منها بكثير؛ مساحتُها عشرين ألف كيلومتر مربع، وتنتصر عليها في نهاية المطاف.

إنَّ فقدَ بيت المقدس بعدما امتلكنــاه ثمانية قرون ليس بجرح ينجبر، ولا يزال ينخســنا في أحشائنا حتَّى يقيِّــض الله تعالى صلاح الدين ثانيةً فينا ليضع بلســماً شافياً عليه.

= انضمَّ إلــى اتفاقية جنيف (١٩٠) دولة، أي: عمــوم دول العالم تقريباً، ما يجعلها أوســع الاتفاقيات الدولية قبولاً، وجزءاً أساسياً ممَّا يسمَّى بالقانون الدولي الإنساني. (ويكيبيديا).

• **سعياً وراءَ اكتشاف النواميس الفطريَّة لهذه الكارثة:**

ولكنَّنا نؤمن بـأنَّ أيَّ كارثةٍ في هذا الكون مسبوقةٌ بنواميسَ كونيةٍ، وسننٍ فطريَّةٍ مترابطةٍ أودعها الله فيها، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً، كما تحمِل في طيَّاتها الكثير من العِبَر والدروس، ومواضعِ الإنذار، ومَواطن التنبيه.

ولا ترتقي المِللُ والشُّعوب حتَّى تُحسن التعامل مع هذه الكوارث، وتتلقَّ منها الدروسَ بعد عَثْرَتِها، فإنَّ الطريق إلى الرُّقيِّ والانتصار معقَّدة ذات عقبات، ولا يجتازها إلَّا الشُّعوب الَّتي تكتشف سُنَّةَ الله فيها، وما أُودِع فيها من أسباب ومسبَّباتها، وألَّا تحسبها مجرَّدَ صُدْفةٍ في تاريخ الوجود، وإنما تَستعدُّ لتقبُّلها على أنَّها نتيجةٌ طبيعيةٌ لأخطاء وزلَّات لا بدَّ أنَّهم وقعوا فيها، ثمَّ تُخطِّط للتوقِّي منها في مستقبل الأيام.

وعليه، فلا ينتهي دورُنا بسكب دموع الحزن وزفرات الحسرة، وإنَّما تتطلَّب هذه الكارثةُ التاريخيَّة التفكيرَ الجادَّ والتخطيط الحازم.

فإذا أردنا لأنفسنا العيشَ في هذا العالم بعِزٍّ وانتصارٍ، فَلْنُوفِّ هذه الكارثةَ حقَّها من التفكير في أسبابها، بغيةَ التوقِّي عن إعادتها في القادم.

• **سوطُ تنبيهٍ:**

لا ريب أنَّهــا هزيمةٌ منكــرةٌ، ولكنَّا نقول بــكلِّ ثقةٍ وتفاؤلٍ: إنَّها في الواقع سَوط تنبيهٍ وجَّهته يدُ القُدْرة الإلٰهيَّة إلينا؛ لنتلقَّى منه الدَّرسَ الــلَّازم، وإذا ما اعتبرنا منه فإنَّه بإذن الله تعالى سيتحوَّل إلى خطوةٍ على طريق الانتصار.

وعليه، فإنَّه أوانُ تجديد الهمَّة والعَزيمة، ودراسةِ الأسباب، ومحاولةِ بحثٍ عن حلول ومعالجاتٍ للتفادي معها، وتدارك أضرارها، والتخلُّص من وَيلاتها الَّتي جرَّتْها علينا كأمَّةٍ.

• **اعذروني في صراحتي:**

على أن مقتضى النُّصح لإخواننا العرب أَلَّا نُكاشفَهم أخطاءَهــم الَّتي تســتوقفهم في قفص الاتهام جــرَّاءَ هذه الهزيمة، ولكننا نعتقد في الوقت نفسه أنَّ النُّصحَ الحقيقيَّ يكمُن في الاعتــراف بالواقع، ووضعِ اليــد على موضع الداء، الأمرُ الذي تُمليه علينا مصلحةُ العالم الإســلامي، ومن ثَمَّ فإنِّي أعتذر مســبقاً عن صراحتــي وواقعيَّتي في السطور القادمة، وبما أنَّها مشــحونةٌ بكلِّ معاني النُّصح، فإنِّي مؤمِّل بأنَّها ستجد آذاناً صاغيةً، وقلوباً واعيةً.

وفيما يلي سنحاول دراسةَ هذه الأسباب ونتائجها:

• **سُنن التقدُّم والتخلُّف في تاريخ الأُمم:**

عندما نتدبَّر في القــرآن الكريم، والسُّـــنَّة النبويَّة، وفي تاريخ تقدُّم الأُمم وتخلُّفهــا على مرِّ الزمان، نجد أنَّ التقدُّم ليس حقّاً فطريّاً لأي شــعب يولَد معه إذا وُلد، وإنما ربطته سُـــنَّةُ الله تعالى بجملة من النواميــس والقوانين، وأن ليس للإنسان إلَّا ما سعى، فهو يجد ثمرةَ سعيه بقدر ما بذله، ولم يُســتثنَ منه أحد، صحيحٌ أنَّ المســلمين نالوا لقبَ: «خير أمَّة»[1]، وصحيحٌ أنَّهم أحبُّ الأُمم إليه تعالى، وصحيحٌ أيضاً أنَّهم من الفضل بمكانٍ لا يكافئهم فيه أيُّ أمةٍ أخرى...

ولكن كلُّ هذا لا يعني في أيِّ حال أنَّهم يســتحقُّون العلوَّ والارتقاءَ إلى أوج الثُّرَيَّا وتبوُّءِ سنام المجد، دون أن يُقدِّموا أيَّ ثمن من الجهد والعطاء.

• **شروط التقدُّم في القرآن الكريم:**

وعندما ندرس القرآن الكريم والتاريخَ الإسلامي ولو دراسةً عاجلةً نُدرك أنَّ علوَّ المسلمين مقرونٌ في سُنَّة الله تعالى بشرطين:

---

(١) قال تعالى فــي التنزيل العزيــز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ـ **أوّلاً**: أن يكونوا مسلمين بالمعنى الكامل، وهو أن يخضعوا في جميع شؤون حياتِهم لأحكام الشريعة الإسلامية.

ـ **وثانياً**: أن يُعِدُّوا ما استطاعوا من القوّة في مجالات التقدُّم ووسائلها.

ولا ريب فإنَّ سرَّ تقدُّمنا يكمن في هذين الشرطين، وقد صرح بذلك القرآن الكريم؛ حيث قال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال أيضاً: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وكلَّما ألقينا نظرة على جذور أي انقلاب صالح على امتداد التاريخ الإسلامي، نجد هذه الأصول والقواعد هي الَّتي تتحكَّم فيها، وتوثِّق لنا مصداقيتَها ومدى واقعيَّتها، حيث إنَّ المسلمين متى ما تحلَّوا بصفات المسلم الحقِّ، الصَّادق الأمين، وتزوَّدوا بما استطاعوا من المعدَّات والأسباب اللَّازمة؛ فإنَّ النَّصرَ سيكون حليفَهم، وإنَّهم لم يقعوا في ذُلِّ الهزيمة إلَّا عندما أعرضوا عن هذه الأحكام الإلٰهيَّة.

• نبذة تاريخيَّة عن بيت المقدس من منظور سُنن التقدُّم والتخلُّف:

عندما نلقي نظرةً على تاريخ بيت المقدس، نجد هذه السُّنن الإلٰهية ساريةَ المفعول، حيث كانوا في قمة الرُّقي والازدهار ما داموا متمسِّكين بأحكام الله سبحانه، في ظلِّ حكم نبيِّهم سيدنا سليمان ﷺ، وكانوا يحكمون العالم من الحجاز إلى اليمن، ومن سواحل الروم الشرقية إلى سواحل إفريقية الشرقية، حيث كانت ترفرف راياتُ نصرهم، وعظيم سلطانِهم.

ولكنهم بعد رحيل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعندما آلَ الحكمُ إلى نجله «رحبعام»، وتخلَّى عن سُنَّة والده الَّتي رسمها، وغُلب من شهوة الحكم، ضعفوا واستكانوا، وكان من نتيجة ذلك أنَّ أحد خدَّام سيدنا سليمان ـ وهو يربعام ـ بغى وثار ضد الحكومة، وأقام لنفسه سلطاناً في الشمال أسماه إسرائيل، وهكذا انقسموا قسمين: إلى الحكومة الإسرائيلية في الشمال، وعاصمتها: «سامرة» (نابلس حاليّاً)، وإلى الحكومة اليهودية في الجنوب، وعاصمتها: أروشليم (بيت المقدس).

وأسفر عن هذا الانقسام تفرُّق قوَّتهم العسكرية الَّتي كانوا بفضلها يدقُّون على مِلِكة سبأ أبوابَ حكمها، وانشغلوا فيما بينهم بالحروب الأهلية، وظلُّوا على ذلك سنوات وسنوات، وتمتدُّ هذه الفترة المؤلمة ما بين عامي (٩٣٧م ـ ٩٨٦م)، وقد أسفرت هذه الحروب في بعض الأحيان عن مقتل ما يُقارب خمسمئة ألف إسرائيلي، ولكنهم لم يتوقَّفوا عن صراعات السُّلطة، وقد نبذوا الدِّين وقيمه وأحكامه وراء ظهورهم، وتفجَّرت بين علمائهم خلافات ذات البين، وهكذا فإنَّهم ظلُّوا غارقين في المعاصي والتَّرف طوال هذه المدة، باستثناء بعض الفترات الَّتي بُعث خلالها الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

ومن سُنَّة الله في الكون أنَّه لا يباغت قوماً بعذاب من عنده حتَّى يرسل إليهم إنذارات بشكل أو بآخر، وهذا ما حصل معهم، فقد بُعث إليهم الأنبياء، كما توجَّه إليهم الأعداء، وبدؤوا يهجمون عليهم في فترات متقطعة، تارة يهجم ملك مصر، وأخرى ملك صور، وثالثة ملك آرام، ويبلغون حتَّى باب أروشليم، وتلحقهم أضرارٌ جزئية، وقد أدركوا أن قلوب الأعداء تتشوَّف إليهم، ويترصَّدون لهم، ولكنهم لم يتنبَّهوا، ولم يغيِّروا

من حالهم شيئاً، وإنَّما ظلُّوا مستغرقين في حياة التنعُّم والتَّرف واللَّامُبالاة والغفلة.

وكان السادة: أرميا وأشعيا وحزقيل عليهم الصَّلاة والسَّلام لا يزالون ينبِّهونهم من غفلتهم عسى أن يستيقظوا من سباتهم، ويصلحوا أنفسهم، وكانوا ينذرونهم أنَّ ملك بابل على أبوابكم، عسى أن يهلككم، ويدمِّر دياركم، ولكن هيهات، لم تُجْدِ في هذا الشعب المهووس بالحياة المترفة هذه الدعوات والإنذارات، زعماً منهم أنَّهم شعب الله المختار، وأنَّ علماءهم خير من على الأرض، وبالتالي فهم مأمونون من أي عذاب يدركهم، أو عدوٍّ يلحقهم، لأنَّ العدوَّ ـ كما زعموا ـ ستناله نار غضب الله إذا اقترب منا لتحوِّله إلى رماد...

ـ «وعدُ أولاهما» يتحقَّق:

وفي هذه الظروف، وبينما كانوا غارقين في ملذَّات الدنيا حتَّى النخاع، وكان علماؤهم يتجادلون في فم الإبرة كم يسع حجمُها من عدد الملائكة!... شنَّ عليهم «نبوخذ نصر» الذى كان ملِكاً لبابل هجوماً صاعقاً، وصبَّ عليهم من أساليب التعذيب والتنكيل المرعبة ما لم يخطر في

حسبان بشر، وأجلاهم من بيت المقدس وما يجاوره من المناطق، وكان جيشُه طوفاناً يأكل في طريقه كلَّ معارض، ويسوِّي به الأرض، وذبح أولاد الملك أمام عينيه، وما تبقَّى منهم ساقهم مكبَّلين بالسَّلاسل ليعيشوا باقي عمرهم يتذوَّقون الذلَّ والهوان والويلات على يديه[1]، وقد بيَّن ذلك القرآنُ الكريمُ في محكم تنزيله؛ حيث قال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٥].

وقد فتح هذا الطوفان أعينَ بصيرتهم، وتطهَّرت حياتُهم مقارنةً بما مضى، وقلَّ الشِّقاق بينهم، وارتفعت أيديهم أمام الله تعالى، وهكذا منحهم الله تعالى فرصةً أخرى لتحسين أوضاعهم...

---

(١) «أما دولة يهوذا فاستمرت قرابة (٣٦٢) عاماً، ثم سقطت بأيدي فراعنة مصر عام (٦٠٣ ق. م) تقريباً، وفرضوا عليها الجزية، وامتدَّ حكم الفراعنة في ذلك الوقت إلى الفرات. ثم جاء بعد ذلك حاكم بابل الكلداني نبوخذ نصر، واسترجع منطقة الشام وفلسطين، وطرد الفراعنة منها، ثم زحف مرة أخرى على دولة يهوذا الَّتي تمرَّدت عليه، فدمَّرها، ودمَّر معبد أورشليم، وساق شعبها مسبيّاً إلى بابل، وهذا ما يسمَّى بالسبي البابلي، وكان في هذا نهاية تلك الدولة الَّتي تسمَّى يهوذا، وذلك في حدود عام (٥٨٦ ق.م)». يُراجع للتفصيل: موسوعة الأديان، علوي عبد القادر السقاف.

- «ردَدْنا لكمُ الكَرَّة عليهم»:

في عام (٥٣٦ ق.م) أغار «شـاه خسرو» ملك إيران على بابـل وانتصر عليها، ورحِـمَ بني إسـرائيل، وأذن لهم بأن يعيدوا بناء بيت المقدس، ويسـكنوا فلسطين، فدخلوها في عـام (٥١٥ ق.م)، وتابوا إلـى الله تعالى في حضور سـيدنا عزير ﷺ توبةً متضرِّعةً، وتعهَّدوا أن يعيشـوا حياةً ملتزمةً، متوافقةً مع أحكام الشَّـريعة، وظلوا علـى عهدهم حيناً من الدهر، ولكنَّهم لم يلبثـوا أن بدؤوا يعودون إلى سـيرتهم الأولى، فحُرموا الحكومة، ولم يُرزقوها بعدُ، ولكنهم رُزقوا وفرةً من الأموال وأسباب الحياة الدُّنيا، وعادت إليهم حياةُ الرفاهية والمسـرَّات، تماماً كما ذكرها القرآنُ الكريمُ، حيث قـال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

كما نبَّههم بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

- «جاءَ وعدُ الآخرةِ»:

ولم يَـدُمْ صلاحُهم طويـلاً، والزيادةُ فـي الرفاهية أعادَتْهم إلى محافـل تَرفهم وطَربهم السَّـابقة، وفُتِحت

معابدُ الأصنام، وكثرَ الخلافُ والشِّقاقُ، ووصلوا إلى نفس الحالة الَّتي تسبَّبت سـابقاً في جرِّ ويلاتِ «نبوخذ نصر» عليهم، ولكن هذه المرَّة كان الدور لملك الروم المسمَّى: «أنطيوخوس»، الـذي أغار على بيـت المقدس في عام (١٦٥ق.م)[1]، وزلزلهم، وصبَّ عليهم من بأسـه وغضبه حتَّى قَتَّلهم تقتيـلاً، وأحرق صُحفهـم، وأجْلى من فاته قَتْلُهم، وهذا ما ذكره القرآن الكريم، فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُا وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

ـ «وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا»:

وكانت آخر فرصة مُنِحوها بعد أن سُلبوا الحكومة منذ أربعة قرون، وكُتبت عليهم الذِّلَّة والمَسْكنة، والتَّشرذم، وقد مرَّ على ذلك ألفان ومئة واثنتان وثلاثون سـنة، وهم منذ يومئذ متشرذمون شَذَرَ مَذَرَ، مَطْرودون من بيت المقدس.

---

(١) يُراجع للتفصيل: القدس عبر التاريخ، لخليل محمود الحمادي، ص٣، وفيه: «وفي عام (١٦٥ ق.م) قام الملك السلوقي (أنطيوخوس الرابع) بتدمير الهيكل، وأرغم اليهود على اعتناق الوثنية، فاعتنقها كثير منهم، ورفض البعض، وقاموا بثورة ونجحوا في نيل الاسـتقلال بأورشليم، وذلك في سنة (١٣٥ ق.م) إلى سنة (٧٨ ق.م)».

ولكنَّ القرآن الكريم بعدما ذكر هجمةَ «أنطيوخوس» أفادنا قائلاً: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

وقد تمثَّلت هذه الرَّحمةُ الإلٰهيَّةُ الموعودة حين آمن فرع من بني إسرائيل بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام عند بعثتِه، وكانوا أفضل حالاً من عامَّة اليهود إلى حدٍّ ما، حيث كَثُرَ فيهم العُبَّاد، كما تميَّزوا بعاطفة العمل، ومن ثم تمكَّنوا بعد صعود سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام إلى السَّماء، وبعد محاولاتِ ثلاثةِ قرونٍ طويلة من إقامة مملكتهم، واحتازوا بيتَ المقدس، وقد حكموه حوالي أربعة قرون في أُبَّهتهم وجاههم، ولكنَّهم كذلك بدؤوا يشوِّهون الصُّورةَ الحقيقية لدينهم بمرور الأيام، كما تسرَّبَتْ إليهم خصائلُ اليهود.

ـ بعد البعثة المحمَّدية على صاحبها الصَّلاة والسَّلام:

وقد حان في نهاية المطاف أن تشرق شمسُ النبوَّة الخاتمة من قِمم فاران، وتحقَّقت البعثة المحمَّدية، وأوضح رسولُنا الكريمُ ﷺ الصُّورة الأصلية لدين اليهود والنصارى أمام العالم، الذي مسخوه مسخاً بالغاً، فبات المسلمون الآن هم الأتباع الصَّادقين لأحكام التوراة

والإنجيل، ومثَّلوا مـن ناحيةٍ أعلى مُثلِ السِّـيرِ العطرة، والأخلاق الطَّيِّبة، وحقَّقوا روائع العمل والإقدام من ناحيةٍ أخرى، ما كان من بركاته أنَّهم أخضعوا إمبراطوريتَي قيصر وكسرى، وأهْوَوا بنخوتها وجبروتها في مكان سحيق.

وما زالوا يتقدَّمون ويفتحون مساحات البلاد وقلوبَ العباد، ولم يلبثوا حتَّى تمكَّنوا من زمام العالم، كانوا أقل من القليل في العُدَّة والعدد والعتاد مقارنة بالعدوِّ، ولكنهم كانوا أقوى إيمانـاً وطموحاً، وعاطفةً وحماسـاً، وعملاً وإحساناً، فخضعت لهم الرِّقاب، وانقادت الذمم، وجثت أمامهم القوى على رُكبها.

ـ فتحُ بيتِ المقدس صُلحاً:

وتلكم هي الفترة الَّتي استردَّ فيها سـيدُنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس من أيدي النصارى صُلحاً[1].

---

(١) قال اليعقوبي في تاريخه (ص ١٦٤، بترقيم الشاملة آليّاً):
وكتب أبو عبيـدة إلى عمر يُعْلمه مطاولة أهـل إيلياء وصبرهم، وقال بعضهم: إن أهل إيلياء سألوه أن يكون الخليفة هو المصالح لهم، فأخذ عليهم العقود والمواثيق، وكتب إلى عمر، فخرج إلى الشام، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، وقرَّب خالداً، وأدناه، وأمَّره، فسـار في =

ولم يزل المســـلمون يحكمونه خمسمئة سنة، بإيمان المؤمنين الصَّادقين المجاهدين، حتَّى آلَ حكمه بعد قرون إلى الحكومة السَّلجوقية من الأتراك، وكانوا حديثي عهد بالإسلام، متمتِّعين بالعاطفة الدينية الجياشة، والحماسة الجهادية المتوقِّدة.

- سببُ بداية الحروب الصليبيَّة:

ولكن لم تســـتقرَّ الأحكام الشرعية بصورتها الوسطية المتكاملة في نفوســـهم، ولم تختلط بنفوسهم وقلوبهم، ما أدَّى إلى تجاوزهم خطَّ الاعتـــدال، وفرضوا جملةً من القيود شـــبه المُجحفـــة علـــى زوَّار بيـــت المقدس من النصارى، وكانت هذه القيود تُخالف تلك الشرائط السَّخيَّة الَّتي تَحالف بها سيدنا عمر بن الخطَّاب ﷺ عند الصُّلح.

وكانت النتيجـــة أن نصارى الروم دشَّـــنوا مشـــروعَ الحروب الصليبية ضد المســـلمين، على أنَّ المســـلمين سَرَى فيهم الهوانُ والضعف، فاستطاع النصارى أن يسلبوا بيت المقدس من أيدي المسلمين لفترة مؤَقَّتة.

= النَّاس على مقدمته، وذلك في رجب سنة ستة عشر، فنزل الجابية من أرض دمشق، ثم صار إلى بيت المقدس، فافتتحها صُلحاً.

ولكنَّ المســلمين ككُلٍّ كانوا «مســلمين» حقّاً، وقد قيَّض الله تعالى من بينهم السُّلطان صلاحَ الدين الأيوبي الذي كان واعيــاً بمتطلَّبات الإيمــان، فألحق بالنصارى هزائــم متتاليــة، وسُــرعان ما تمكَّن من اســتعادة بيت المقدس، في بدايات القرن السَّادس الهجري، ومن يومئذٍ والمسلمون يملكون زمام بيت المقدس.

وغرضي من وراء سَرد هذا التاريخ: أنَّ ما حصل في أطراف وضواحي بيت المقدس يوافق تماماً نواميس قدرة الله تعالى وسُــننه الَّتي ســنَّها لنا، والذي لــم يزل جارياً مستمرّاً ساري المفعول منذ ثلاثة آلاف سنة، ورأينا كيف أن بني إسرائيل أيام كانوا خيرَ أُمَّة لم تنفعهم هذه الخيريَّة عند تهاونهم، أمام العذاب الذي تسلَّط عليهم متمثِّلاً في غارات «نبوخذ نصر وأنطيوخوس».

والمسلمون اليوم وإن كانوا يمتازون بمنصب الخيريَّة إلَّا أنَّ هذا لا يعني أنهم يستأثرون بحقِّ العزَّة والانتصار، والعلوِّ والازدهار، ولو كانوا مقصِّرين متهاونين مترفين؛ وعليه فإنْ جَرَّ عليهم عصيانُهم وتَرفُهم عدوّاً لئيماً كالكيان الإسرائيلي؛ فهذا ليس شيئاً يدعو إلى العجب!.

ـ حصيلةُ التحليل التاريخي:

وفي ضوء هـذه الخلفية التاريخية إذا حلَّلنا أسـباب هزيمة العرب، لا نجدها سـوى أنَّهم لـم يحقِّقوا أيّاً من الشَّرطَين الاثنين اللَّذَين قرن بهما القرآنُ الكريمُ نصرَهم وتمكينَهم في الأرض.

حيث فقدوا من ناحيةٍ الروحَ الإيمانيَّة الَّتي تجلب لنا البشارة الدائمة المتمثِّلة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وفقدوا من ناحيةٍ أخرى عاطفةَ الاستعداد العمليِّ الذي أشـار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾ [الأنفال: ٦٠].

وكان من أسباب هذه الهزيمة الظاهرة ما يلي:

• أسباب الهزيمة:

١ ـ السبب الأوّل: ترك أحكام الشَّريعة، ومُحاكاة الغرب:

السبب الرئيسي الأوَّل هو التخلُّف عن تطبيق أحكام الشـريعة الإسـلامية على ذواتِهـم، ونبذهـم تعاليمها وتوجيهاتِها وراءَ ظهورهم، فقد كانوا يدَّعون منذ سـنين أنَّهم يُعـادون الحضارةَ الغربيَّـةَ، ولكـنَّ حياتَهم العمليَّة

كانت نقيضَ هذه الدعوى، حيـــث إنَّ تحركاتِهم الحياتيَّة وأســـاليبهم المعيشـــيَّة كانت ولم تزل عبارةً عن محاكاة الغرب في أفكارهم، وأساليب عيشهم، وزيِّهم ولباسهم، من أعلى الرأس إلى أخمص القدم، كأنَّهم بلسان حالهم يقولون: نكفر بالغرب بألســنتنا، ولكنَّا نُعَظِّمهم بقلوبنا وأطوارِ حياتنا، ونودُّ أن نكون نســخةً منهـــم في ثقافتنا وحضارتنا ونمَطِ حياتِنا.

ونتيجـــةً لذلك، فـــإذا ذهبتَ إلـــى أيِّ دولـــةٍ عربيةٍ ستســـتصعب التمييز بين مـــا إذا كانت حقّاً دولـــةً عربيةً أم غيرَها؛ لأنَّ العُري والفُحش والتَّرَف والبُعد عن أحكام الدِّين فيها لا يختلف عن أيِّ دولـــة غربيةٍ! وقد بلغَنا أنَّه كان ثَمَّةَ في المهاجمين الإسرائيليين من صام قبل الهجوم بيومين!...

وبينما كانت فنادق بعض العواصم العربية مغمورةً بحفلات الرقص والموســيقى، تماماً في السَّاعة الَّتي كانت الطائرات الإســرائيليَّة تتَّجه إلـــى مصر، وكلُّنا يعرف ما لحق بالمسلمين في عدة عواصم على مدار الشهور الماضية. وبينما كان علماء اليهود ينفخون في

شـــعبهم روحاً دينيّةً لخوض الحرب ضدَّ المسلمين، كان علماء المسلمين في أكثر من بلد يتذوَّقون العذاب في السجون.

٢ ـ السبب الثاني: هتافات العروبة والقومية بدلاً من هتاف الإسلام:

وكان من مظاهر البُعد عن الإسلام: أنَّ الأقطارَ العربيَّة كانت ترفع نعرات «العروبة»، وهتافات «القومية العربية» في سبيل مقاومة إسرائيل، بدلاً من هتافِ الإسلام.

وقد احتضنوا في أحشـــائهم هذه النظريةَ المُنتنة الَّتي أعلن ســـيدُنا رســـولُ الرَّحمة ﷺ هدمَها في خطبة حجة الوداع، حيث قال: «**لا فضل لعربي على عجمي**»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد في مســـنده، ط: الرســـالة، برقـــم: ٢٣٤٨٩، (٣٨/٤٧٤)، وتمامه:

حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَـــطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُـــمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِـــدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْـــوَدَ، وَلَا أَسْـــوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ**» قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**» قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ شَـــهْرٍ هَذَا؟**» قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**» قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ** =

على أنَّه قد انضوت القوميات المختلفة والأعراق المتشــتِّتة في إســرائيل تحت لواءٍ واحدٍ، وهو لواء اليهودية، على اختلاف ألسنتهم وأوطانهم وأعراقهم، الذي أيقظ فيهم روحَ الحرب الدينية...، ومن ثَم كان من المســتحيل مقاومتُها تحت لـــواءِ القوميـة الَّتي تبنَّتها العرب.

ـ قضية فلسطين قضيَّة العالم الإسلاميِّ كلِّه:

بل كانت هذه الظروف تتطلَّب أن تُبَلْوَرَ قضيةُ فلسطين على أنَّها ليســت قضيةَ العرب وحدَهــم، بل هي قضيةُ العالم الإســلامي كلِّه، وأن يُشــرَك فيه العالمُ الإسلامي الممتدُّ من إندونيســيا إلــى مُرَّاكُش، على أن باكســتان وتركيا وإيران تناست مراراتِها السابقة، وأدَّتْ دوراً مثاليّاً في هذه الأجواء، والذي يَكفي لِيؤكِّــد لنا أن العربَ لو أرادوا توحيدَ كلمة المســلمين من أجل قضيَّة فلسطين، فإنَّه لم يكن صعبَ المنال.

= حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُــمْ وَأَمْوَالَكُمْ» ـ قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَــالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا ـ «كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ» قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

ولو توحَّد المسلمون لَقَضَوْا على الكيان الإسرائيليِّ، ولَمَحَوْهُ من خريطة العالم، بل ولَانْحَلَّت قضايا كشمير وقبرص تلقائيّاً، ولَاستغنَت هذه البِلاد الَّتي تلجأ إلى أمريكا تارةً وإلى الصين أخرى، عن أيِّ دعمٍ خارجيٍّ.

وعندما نُلقي نظرةً على خريطة العالم الإسلامي، نجدها كأنَّها مربوطةٌ بخيطٍ جغرافيٍّ موحَّد، ويمتلكون أفضل الممرَّات الَّتي تصِل بين العالم، ويمتلكون أغنى الوسائل الطبيعية المودَعة في باطن الأرض أو خارجها، فضلاً عن الثروة البشرية الهائلة، كما أنهم يحتلُّون وسَط الكرة الأرضية، وعليه فإن قلبَ العالم كلِّه في أيديهم... فإذا توحَّدت كلمتُهم، وأحسنوا الاستفادة من هذه النِّعم الإلٰهيةِ بتنظيمٍ وتنسيقٍ، فمن ذا الذي سيُعيقهم عن العود إلى مجدهم المفقود؟! طبعاً، لا أَحَد.

ولكن رغم كلِّ هذه الحقائق، إلّا أن الهتاف الذي رفعوه من أرض العرب في أثناء هذه الحرب هو هتاف: «العزَّة للعرب»، والذي كان يجب أن يكون هتافَ: «العزَّة لله».

وبعدُ، أفلم يكن كلُّ هذا كافياً لجلب سخط الربِّ سبحانه وداعياً إليه؟!.

ـ أضرارُ فكرة القوميَّة:

جاءت هذه الفكرة بأضرار كثيرة، منها:

أ ـ أن الكيان الإسـرائيليَّ الذي كان مدعوماً من قبل الغرب لم يجد منافساً قويّاً أمامَه.

ب ـ تفرَّق جرَّاءَه العربُ، لأنَّ الذين افترقوا عن القوميِّين اعتقاداً منهم أنَّ الانضواء تحت لواء القوميَّة ليس صحيحاً، قد أسَّسوا تكتلاتِهم المستقلَّة، ما أدَّى إلى تفرُّق شمل المسلمين في كتلتَيـن متوازيتَين انشـغلتا بالتنافس المذمـوم، وتبادل السِّباب فيما بينها، وافترقت جرَّاءها وسائلهم ومعدَّاتُهم ضدَّ بعضهم، بدلاً من أن يوظِّفوها لكسر قوة العدوِّ! وقد بلغ هذا الخزيُ نِهايتَه بالأحداث المؤلمة التي تعرَّض لها المسلمون في اليمن أثنـاء وجود الجيش المصـري، وفي نفس الوقت الذي زحفت فيها القواتُ الأمريكية والبريطانيَّة المتمثِّلة في طفلها الإسرائيليِّ على الأقطار العربية.

ج ـ وأضرَّت القوميَّةُ العربيةُ جنـودَ المعركة؛ لأنَّها حالت دون نفخ روح الجهاد الإسـلاميِّ فـي قلوبِهم، والذي بطبيعته يُحمِّسـهم، ويخلق فيهم طاقةً استثنائيَّةً للاستماتة، ومواجهة تحدِّيات الموت.

وقد ظلَّ المذياع المُمثِّل للقاهرة والقوَّات ذات المستوى الرفيع يهتف: «جاهدوا في سبيل العروبة»، بينما ظلَّت آذاننا تترقَّب بمنتهى الصبر أن تسمع هتاف: «جاهدوا في سبيل الله»، ولم يزل يتكرَّر شعار: «العزَّة للعرب» في غياب رهيب لشعار: «العزَّة لله»، ولأنَّ الجنود كانوا مسلمين، ويأبى المسلمون أن يستميتوا باسم الكبرياء الوطنيَّة الكاذبة، إنَّما هي كلمة التوحيد: لا إلٰه إلّا الله ـ الَّتي تشحنهم بطموح استثنائيٍّ يُهوِّن عليهم الاغتسال بأنهار من دم، أو القفز في خنادق من نار.

وقد فسَّر الرئيسُ المصريُّ عبد الناصر هزيمتَه بسبب آخر، مؤدَّاه: أنَّ القوة الإسرائيليَّة كانت ثلاثة أضعافَ قوتِهم.

ـ كيف انتصر مسلمو باكستان في معركة عام (١٩٦٥م)؟:

هذا صحيح في محلِّه، ولكن نتساءل: ألم تكن القوة العسكرية للهند في جهاد سبتمبر عام (١٩٦٥م) ثلاثةَ أضعاف القوة العكسرية لدى باكستان؟... ولكن شاهدَ العالَمُ كيفَ أنَّ باكستان استطاعت بحُفنة من جيشها أن تردعَ عدوَّها، وتصدَّ السيل الجارف من دبَّاباتِه؟!...

سبب ذلك: أنَّ هـذه الحرب لم تكـن مدفوعة بكبريـاء وطنيَّة مصطنَعـة، وإنَّما كانـت تتحكَّم في جذورها تلك الـروح الجهاديَّـة الَّتي بثَّهـا الرئيس الباكستانيُّ عندما هتف مُزَمزِماً كلمةَ التوحيد ـ لا إلٰه إلَّا الله ـ الَّتي أحدثَت دويّاً إيمانيّاً في أجواء باكستان، من لدن ثغـور «خيبر»، إلى نِهاية أطراف «سـلهت»، والَّتي نفَخَت روحاً قويّةً في شعوبِها للتضحية والفداء تحت لواء الإسلام.

ـ هزيمةُ القوميَّة العربيَّة وليست هزيمة الإسلام:

وعليه، فإنَّ الحقَّ الذي لا يمكن جحودُه رغمَ مرارتِه: أنَّ هذه الهزيمة ليست هزيمةً للإسلام والمسلمين، وإنَّما هي هزيمةُ القوميَّة العربيَّة.

٣ ـ السـبب الثالث: تبنِّي النمط الغربي المتحرِّر من القيود الأخلاقية في الحياة الاجتماعية:

بمعنى: إعراضنا عن تعليمات الشريعة الإسلامية، وتبنِّينا للنمَط الغربيِّ من الحيـاة الاجتماعيـة، وشغفنـا بمظاهرهـا المترفـة المتحـرِّرة مـن كلِّ القيـود الأخلاقيـة.

ـ الاستغراق في التَّرف على حساب الاستعداد الحربيِّ:

وجاء ذلك على حسابِ اهتمامنا بإعداد العُدَّة الحربيَّة المتمثِّلة في أحدث أنواع السِّلاح، وفنون الحرب الَّتي كان من الواجب أن نُهيِّئَها وندبِّر أسبابَها، لتحصين أنفسنا في موقف الدفاع عن الأُمَّة في وجه العدوِّ.

فقد كان خطر الكيان الإسرئيليِّ محلِّقاً على رؤوس الإخوان العرب منذ العشرين سنةً الماضية(١)، ولم تَخفَ عليهم نيَّاتُه العُدوانيَّة، واستعدادتُه الحربيَّة، ولكنَّهم تعامَوا عن النهوض لمواجهته المرتَقَبة على قدَم الهمة والطموح والاستعداد.

ـ سوء تعاملنا مع ثَروات العالم الإسلامي:

على أنَّهم تغافلوا أيضاً عمَّا أغدق الله عليهم من النِّعم الظاهرة والباطنة، حيث زوَّدَهم بأفضل الثروات الأرضيَّة والبشريَّة، وامتلكوا ناصيةَ الذهب الأسود السَّيَّال الذي يُمثِّل روحَ العالَم المعاصر، ولكنَّهم خلَّوا بينَه وبين غير المسلمين الذين بدَت البغضاء من أفواههم، وما تُخفي صدورُهم أكبر! واقتنعوا منها بعائدٍ

---

(١) هذا في عام (١٩٦٧م)، عند تأليف هذا المقال. (عبد الوهاب).

مقابلَ حقِّ الاستغلال (Royalty) كأنَّه أفضلُ ما يُمكن أن يُدِرَّه عليهم.

ولم يستطيعوا طيلةَ السنوات الماضية أن يُجهِّزوا جماعةً من الخُبراء الأكفاء الفنِّيِّين الذين يُحسنون الاستفادة من معادن الزيت باحترافيةٍ كافيةٍ تُغنيهم عن هيمنة الدول الأجنبيَّة! قد لا نستطيع أن نفسِّر هذه الظاهرةَ من الإغفال سوى أنَّها نتيجةُ استغراقهم في الترَف، وإخلادِهم إلى حياة الدَّعة والراحة حتَّى النُّخاع.

على أنَّ العائدَ الماليَّ الذي ينالونه مقابلَ استغلال هذه المعادن الطبيعيَّة قد يفوق مجموعَ الدَّخل في أغنى دول العالَم، وقد أفادت بعض التقارير أنَّ وديعة دولةِ الكويت فقط تُشكِّل ثُلثَي ثروة مصرِف إنكلترا الذي يُعدُّ من أغنى المصارف في العالَم، علاوة على ودائع الدول العربية الأخرى الَّتي تستودِع مدَّخراتِها المالية في حسابات المصارف الأوربيَّة والأمريكيَّة.

ـ أسئلة موجَّهة إلى الإخوان العرب!:

وهنا أسئلةٌ تفرض نفسَها: هل العالَم الغربيُّ هو الذي يستحقُّ أن يستفيد من عوائد هذه المبالغ الاستثماريَّة

الهائلة، الَّتي استطاعت أوربَّة وأمريكا بفضلها أن تفرض هيمنتَها الاقتصادية علــى العالم؟ وليوظِّفها بعدَ ذلك في تدمير العالَم الإســلامي باعتباره الجهةَ الأكثر استحقاقاً لبذل هذا المال؟...

ـ ماذا يعني ادِّخار أموال المسلمين في المصارف الأجنبية؟:

ونتســاءل أيضاً: لمــاذا لا تُنظِّم هذه الــدول العربيَّة الإسلامية سُــبُلَ ادِّخار هذه الأموال في مصارف محلِّيةٍ، بحيثُ تتمكَّن من توظيفِها واســتثمارِها في المشــاريع التنمويَّة للعالم الإسلاميِّ؟...

وأمَّا ادِّخارها في المصارف الأجنبية في الظروف الراهنة فهذا لا يعني ســوى أنَّهم يردُّون عليهــا ما يتلقَّونَه من عوائد اســتغلال المعادن والثــروات الطبيعيَّــة، كأنَّهم يتخلَّون عنها لصالحهم قائلين: خذوهــا، وانتفعوا بِها، وطوِّروا بِها تجاراتِكم وصِناعاتِكم، وزوِّدوا بِها طفلَكم الإســرائيليَّ بأحــدث الأســلحة الفتَّاكة وصنِّعــوا بِها الطائرات الَّتي تقصفنا!...

أمَّــا إذا احتجنا إلــى تمويل أيِّ مشــروعٍ تنمويٍّ، فسنمدُّ إليكم يدَ الاستعانة، فتردُّون علينا جزءاً ضئيلاً

منه تحت مسمَّى الدعم، لنشكركم لقاءَها بأسمى عبارات التقدير والامتنان، وقصائد العرفان، بأعناق خاضعة تحت ضغوط المنِّ والعطاء والإحسان.

على أنَّا إذا ذهبنا نستعرض مصارف هذه الأموال المتبقِّية؛ تقع في أيديهم في نِهاية المطاف، وهي الأخرى مبالغ غير عاديَّة، ولكن أين تصرِفها هذه الدول؟ إنَّما تصرِفها في اقتناء السَّيَّارات المكيَّفة المُريحة، وأحدث آليات الزخرفة والتزيين، وأدوات الأفلام الآليَّة، والخمور، وألعاب الأطفال، والأغذية المعلَّبَة المستورَدة، والمغنِّين! وقد لا تجد في معظم الدول العربية أيَّ بيتٍ إلَّا وهو يقتني التلفزيون وأدوات الأفلام الآليَّة.

وتجد عدداً لا يتناوله قانونُ العدِّ والإحصاء من أنفَس طراز من السَّيَّارات الَّتي تسير بِهم على شوارعها، بينما عدد جنودهم في ثكناتِهم العسكرية أقلُّ منها بمرَّاتٍ، وقُل مثلَ ذلك في كمِّية الأسلحة الضئيلة؛ وهي الأخرى من الطراز البالي القديم!...

وممَّا يزيدنا استغراباً: أنَّ دولةً غنيَّةً لا يزيد عدد أفراد جيشها عن خمسة آلاف جنديٍّ، بينما قِوام

قوَّتِها الجوِّية لا تتجاوز ثماني (٨) طائرات حربيَّة[1]... وممَّا يدعو إلى العبرة أنَّ العدوَّ الإسرائيليَّ لم يزل يدرِّب كلَّ طفلٍ من أطفاله عسكريّاً منذ عشرين سنةً، بينما تجد جيوش إخواننا العرب لا تتمتَّع بالدُّربة العسكرية المتطوِّرة المتلائمة مع أحدث فنون الحرب.

ـ أناشدكم بالله!:

وإذا كان العدوُّ يُنفق معظمَ ثروتِه في الإعداد العسكري والتحصين الدفاعيِّ؛ فإنَّ أبناءَ العرب يرون في أسباب التَّرَف والتنعُّم والتزيُّن أفضلَ مصرف لإنفاق أموالِهم.

وإذا كان العدوُّ يوفِّر لنفسِه أحدثَ أنواع الأسلحة بكمِّيات هائلةٍ؛ فإنَّ هنا منَ يبذُل مثلَ جهدِه في تركيب التلفزيونات في بيوتِهم.

وإذا كان العدوُّ هناك يُدبِّر لتعزيز مَناعة دبَّاباتِه؛ فإنَّ لدينا مَن يستنفد جهده في توفير المكيِّفات وتركيبِها في السيَّارات.

---

(١) يُلاحظ أنَّ هذه الإحصائيات ترجِع إلى الستينيَّات من القرن الماضي، وناظرةٌ إلى ظروفِها الخاصَّة في تلك الفترة. (عبد الوهَّاب).

وإذا كان العدوُّ يواصِل ليلَه بنهاره لتنمية بلادِه في المجالات التقنية والصناعية؛ فإنَّ هنا من يواصل صَبوحَه بغَبوقِه في محافلِ الرقص والغناء باعتبارِه رمزاً لتحضُّرهم.

وإذا كان العدوُّ يجمع شَتاتَ أحزابِه المتحاربة، ويوحِّد شملَها تحت لواء إبادة المسلمين، فإنَّ لدينا من لم يستطع بعدُ أن يحدِّد معاييرَ الوحدة الَّتي تجمعهم تحت لواءٍ واحد!...

أناشدكم بالله! هل يحقُّ لنا بعد كلِّ ذلك أن نشكو هزيمتَنا؟!...

٤ ـ السبب الرابع: الاتِّكاء على الدول الأجنبية بدلاً من توحيد الصفوف:

بمعنى الاتِّكاء على الدول الأجنبيَّة على حساب توحيد صفوف العالم الإسلاميِّ العريضة الممتدَّة من إندونيسيا إلى مرَّاكش، ليتكفَّل بمعالَجَة قضاياه، ولا تشرئبُّ أعناقُه إلى روسيا وأمريكا في كلِّ صغيرة وكبيرة، ولا سيَّما بعد أن جرَّبنا عليها الغدرَ والجفاء.

ـ ويلاتُ الاتِّكاء على الدُّول الأجنبيَّة:

وقد وضع العرب ثقتَهم في روسيا، ولكنَّ الدورَ المخزي الذي لَعِبَتْه قد بات بمرأى من العالَم! صحيحٌ أنَّها أصدرت خطاباتٍ ناريَّةً بعد انتهاء الحرب ضدَّ الكيان الإسرائيليِّ، كما ضمَّت صوتَها في الأمم المتَّحدة للتنديد بالعدوان الإسرائيليِّ لصالح العرب، ولكنَّ السؤال الذي يطرح نفسَه هنا: حتَّامَ ستظلُّ تذرُّ الرماد في عيون العالم بِهذه الخطابات الخاوية؟!.

ـ العدوان لا يفهم إلَّا لغةَ الردع والمقاومة:

فإنَّ من الثابت المقرَّر الذي لا يختلف فيه اثنان: أنَّ الذي يعبث بالقانون لا ينفع فيه الكلام واللِّسان، وإنَّما ينفع فيه السَّيف والسِّنان! وأنَّ العدوان لا يفهم لغةَ التنديد باللِّسان، وإنَّما يفهم لغةَ الردع والمقاومة بالسِّنان، وأنَّ إغاثةَ المظلوم لا تكون على الطاولات المدوَّرة، وإنَّما تكون بنجدتِهم في ميادين الحروب.

ولو كان العدو الإسرائيليُّ يقدِّر القانون الإنساني المعترف به دوليّاً، ولو كان يفهم لغةَ الشرف والكرامة

والاحترام، لَما كان لِساحة الشرق الأوسط أن تشهَد أيَّ قضيةٍ نحوَ فلسطين... ولكن قد بات ثابتاً بواقع التجربة أنَّه ثعبان سامٌّ لا ينفع فيه منطقُ العقل والحجَّة، وإنَّما تنفع فيه ضربةٌ قاضيةٌ تسحق رأسَه للأبد.

ـ الحاجة إلى تمييز الصَّديق من العدوِّ:

أمَّا أن يتبنَّى الواحد سياسةَ التفرُّج الصامتة أثناءَ الحرب حتَّى ينتهي أوارُها، ثمَّ يتظاهر بالصياح؛ فهذا النوع من الناس ليس من الصداقة في شيء، وأيُّ مظلومٍ يُعامله معاملةَ الصديق محكومٌ بسذاجته الَّتي تحول دون رؤية الحقيقة في نصابِها الصحيح.

وإنَّ صيحاتِ روسيا على هامش الحرب الراهنة لا يمكن تفسيرُها إلَّا بأنَّها أغرَت العربَ بشكل أو آخر للتساوم (Bargaining) مع العدو الإسرائيليِّ على الاعتراف ببيت المقدس مدينة دوليَّة، وأنَّ خليج العقبة سيكون ممَرّاً دوليّاً! وسيكون هذا انتصاراً وأي انتصار سيكسبه العدوُّ الإسرائيليُّ؟!

وعلى كلِّ حالٍ، فإنَّ الأسباب الَّتي سردنا أعلاه واضحة وصريحة لا تستدعي المزيد من الإطالة والتبسيط

والتدليل، وهي شعور كلِّ مسلمٍ يتمتَّع بالضمير النابض، والقلب الحيِّ تجاه القضية.

• **إنَّها عثرةٌ في الطريق إلى الانتصار:**

وإنَّ هذه الهزيمة لعثرة كبيرة أصابت العالم الإسلامي في طريقِه، لتكون سوطاً منبِّهاً يدعونا إلى إيقاظ الهمم، وإذا لم نُصمِّم على الانتحار؛ فإنَّه أوانُ الاستعداد والنهوض من جديد.

• **لقد حان أن نستفيق من سُباتنا:**

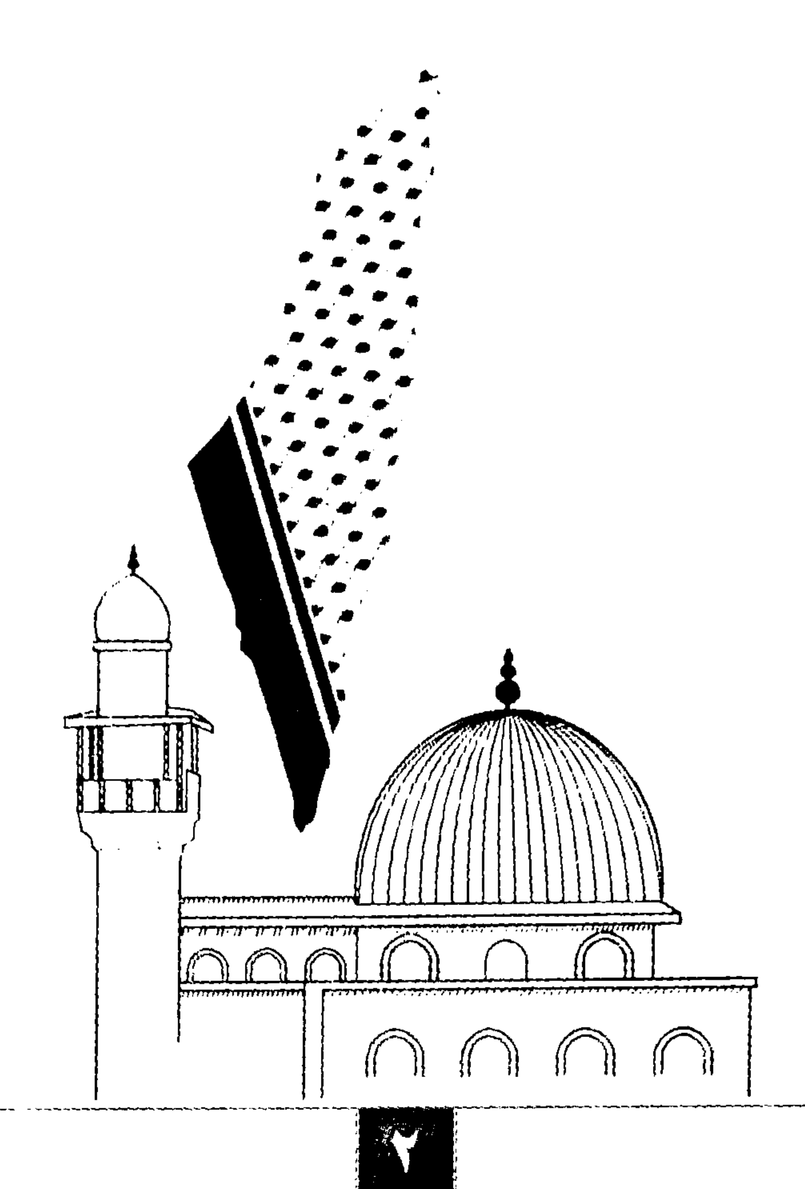
ولنعلم أنَّ مدَّ العدوان الإسرائيلي لن يتوقَّف إلَّا إذا أثبتنا أنَّ العالم الإسلامي صخرة لا يحتكُّ بِها كيان إلَّا تفتَّت وتكسَّر...

انقضت النعرات ولم تعُد تُجدي نفعاً، لقد حان أن نستفيق من سباتنا، ونستعيد وعيَنا المفقود قبل أن نُشرِف على العاقبة الوخيمة؛ حيث إنَّ العدوَّ الإسرائيليَّ لو استطاع اليوم أن يُحكم قبضتَه على بيت المقدس، فإنَّه سيتجاوز غداً إلى القاهرة ودمشق وبغداد وسائر أطراف العالم (لا قدَّر الله).

- **اللَّهمَّ يا ربّ:**

فاللَّهمَّ ربَّ العزَّة والجـلال، وفِّقنا للنهوض بعد هذه الكبوة، واغفر لنا ذنوبَنا الَّتي ألحقتْ بنا هذا الذلَّ والعار والخذلان، ووفِّقنا أن نكون مسـلمين بالمعنى الصحيح الذي يُمكِّننا من مواجهة قوات الباطل، وطواغيت البغي، وأبدِل فُرقتَنا وحدةً، وأعِد إلينـا المجدَ الذي فقدناه منذ قرون، وارزقنا التمكين في الأرض، والسعادة في الدارين. آمين اللَّهمَّ آمين.





٢

قضيةُ فلسطين

بين سذاجة الأشقَّاء ودَهاء الأعداء (عام ١٩٦٨م)

(نُشـــرت في (يوليـــو ١٩٦٨م = ٢٤ صفر ١٣٨٨هـ) كافتتاحيـــةٍ لمجلة البلاغ الأردية، بقلم مديرها العام العلَّامة الفقيه المفكِّر ســـماحة الشيخ محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى، بعد مرور عام على انتكاســـة فلســـطين المُخْزِية، تعليقاً على احتجاجات ومظاهرات في العالم الإســـلاميِّ في ذكرى انتكاسة فلسطين بمناســـبة مرور عام، وتبصيراً بالأســـباب الحقيقية ـ ولاسيَّما فكرة القومية العربية ـ الَّتي يجب أن يأخذها العالم الإسلامي في الاعتبار للتخلُّص من ويلات هذه الانتكاســـة وتكـــرار أمثالها وتفادي أضرارهـــا، ورغم تقادُمِ عهدنا بظروفها إلَّا أنَّ الرســـالة القويَّة الَّتي تنطوي عليها المقالة مع ما تتَّسم به من الصراحة والواقعيَّة والموضوعيَّة العلميَّة، ما زالت طريَّةً في مضمونها ومصداقيَّتها، علَّها تجد قلباً واعياً في صفوف قادة المسلمين).

- **بعد مرور عامٍ على انتكاسة العرب:**

مرَّ عام كامل على احتلال الكيان الإسرئيليِّ العدوانيِّ النَّجِس للأقصى.

وقد مارَس خلالَه هذا العِفريتُ المُعتدي كلَّ ما استطاع أن يمارِســه من عمليَّات القمع والاضطهــاد والإبادة بحقٍّ مسلمي فلســطين المســتَضْعَفين، فضلاً عمَّا قارفه أمام قبَّة الصَّخرة بالذات، من الإساءات المُخْزية الَّتي يندى لها جبينُ الحياء، ويســيل خجلاً! أضِف إلى ذلك عروضه العسكرية الوقحة العلنية الَّتي يتظاهر بها في باحات بيت المقدس.

وهكــذا فعل كلَّ ما يمكــن ترقُّبُه مــن أيِّ عدوٍّ لئيم الخصائل أن يفعله.

- **تخاذل العالم الإسلامي:**

وفي الطرف الآخــر من هذا المشــهد، فــإنَّ العالم الإسلاميّ ما زال في حَيْصَ بَيْصَ؛ هل ينبغي أن يجتمع

قادةُ العالم الإسلامي للتأمُّل في معالجة القضية أم لا؟ لم يستطيعوا بعدُ البتَّ في هذا الموضوع! وكان من نتيجة هذا التخاذُل أنَّ العدوان الإسرائيليَّ لم يزل يتمدَّد ويتجاوز، في حين أنَّ العالم الإسلاميَّ لم يستطع حتَّى أن يصوغ خطَّةَ عملٍ مشتركة لمقاومته.

- **مظاهرات تجاه الأقصى:**

وقد نَهض المسلمون اليوم ليحتفلوا بالخامس من شهر يوليو/حزيران كيوم احتجاج عالميٍّ لصالح قضية فلسطين.

وسيشهد العالم الإسلاميُّ في مختلف أصقاعه مظاهراتٍ واحتجاجاتٍ عارمة تجاه الأقصى بعد مرور عام كامل على انتكاسته؛ للتنديد بالاحتلال الأجنبيِّ الغاشم... وفي تقديرنا فإنَّ هذا التحرُّك خير من لا شيء، وخير من سياسة ابتلاع هذه الكارثة الخطيرة في صمت! ولكنَّه لن يؤثِّر على وضع الأقصى أكثر من أن تتفرَّج حيطانُه وقبابُه الَّتي تمتَّعت ذاتَ يومٍ بمشاهدة جنود صلاح الدين الأبطال وهم يخوضون أحواض الدماء، ويمتطون لهيبَ النيران؛ من أجل تحريره... ستتفرَّج أيضاً في هذا اليوم بالإصغاء إلى «كلماتنا الحماسيَّة الرنَّانة».

• واقعُ جهود زعماء العرب:

وبعدُ، فإنَ الجهود الفردية الَّتي بذلها [وما زال يبذلها] زعماءُ العرب أشبه شـــيء بمحاولات علاج لدمامل في الجسد، وتناولها واحدةً واحدةً بالمداواة، بدلاً من تنقية الدم الفاسد الذي يُولِّدها، على أنَّه ما دام الدم فاسداً فإنَّ معالجةَ الدَّمامل لا تُغني في شيء.

• سرطانٌ دمويٌّ نازف:

هكذا هي إســـرائيل، إنها ســـرطانٌ دمويٌّ نازف في جسد العالم الإسلامي، ولا يتأتَّى علاجُه بذَرِّ الذُّرور أو تكميده بالبلسم الشـــافي، لأنَّ هذه الجرثومة السامَّة إن غابت في ناحية من الجسد، فإنَّها عمَّا قريب ستبرز في ناحية أخرى، وعليه فإنَّ بيتَ القصيد في هذه القضية أنْ نبحث عـــن جوهر هذه الجرثومـــة لنقتلعها من أصلها، ونســـتأصل شـــأفتها، فإنَّها ما دامت متجذِّرة في باطن الجسد، لا تفتأ تبثُّ سمومَها، وتبعثر جروحاً في أطرافٍ من جسد العالم الإســـلامي، تارة في فلسطين، وأخرى في قبـــرص، وثالثة في كشـــمير، ورابعةً في الحبشـــة، وهكذا دواليك...

وعليه فلنعُدْ إلى الوراء قليلاً، ونضع اليدَ على مكمن الداء ومدخَلِه، ثم لنفكّر معاً في سبيلٍ للخروج!.

وقد يطول الكلام، ولكنّه سهلٌ ميسورٌ مُستساغٌ.

• أسبابُ التمكين الموعود في الأرض:

ولننطلق من دراسة ما قد وعدَنا به القرآنُ الكريم في سورة النُّور، في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

فإذا كنَّا نؤمن بأنَّ الله تعالى خالق هذا الكون ومالكه، لا تتحرَّك ذرَّةٌ إلَّا بإذنه، ولا تسقط ورقة شجر إلَّا بمشيئته...

وإذا كنَّا نؤمن أنَّ انقلابات العالم وتقلُّباته وتغيُّراته رهن إشارته، وقيد إذنه...

وإذا كنَّا نؤمن أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى الصادق بجميع حروفه وكلماته، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد...

إذا كنَّا نؤمن بكلِّ هؤلاء، فلنفكِّر بكل معاني الجدِّ في هذا الوعد الذي قطعه لنا، ولنتساءل: لماذا لم يحقِّق لنا ربُّنا الكريم هذا الوعد؟ ولماذا لم يُمكِّن لنا دينَنا الذي ارتضاه لنا؟ ولماذا لم يُبَدِّلنا من بعد خوفنا أمناً؟...

هل هذا الوعد ـ معاذَ الله ـ محضُ تعليل يعلِّلنا به!

إذا فكَّرتم معي بعَدلٍ وحِياديَّة سنعرِف أنَّ وعدَ الله تعالى حقٌّ ثابت، لا تبديلَ لكلماته، ولن تجدَ لسُنَّة الله تبديلاً..

وقد رأى التاريخُ الإسلاميُّ روائعَ هذا الوعد محقَّقةً ساريةَ المفعول في بواكير عهوده...

فإذا كنَّا نجد الوعد متخلِّفاً عنا اليوم، وإذا كنَّا نواجه جرَّاءَه هذه التحدِّيات والآلام؛ فإنَّ مردَّ ذلك كلِّه في الواقع إلى تقصيرِنا في إنجازِ مَبدأي: «الإيمان»، و«العمل الصالح» اللَّذَين عدَّهما القرآن الكريم شرطاً أساسيّاً لتحقيق هذا الوعد.

• **بداية المأساة:**

تاريخيّاً، وتحديداً عندما نأخذ إطلالةً على تاريخ الماضي القريب؛ ندرك أن بدايةَ مأساتنا الاجتماعية

تتزامـــن مع بدايـــة انهيار الخلافـــة العثمانيـــة، وإنَّ جُلَّ المصائب الَّتي يُواجهها العالم الإسلاميُّ اليوم فإنَّها نتيجةٌ طبيعيةٌ لوقوعهم فـــي الفخِّ الذي نســـجه العـــدوُّ بمنتهى الشطارة، الفخِّ الذي غرَّنا حُسن مظهـره عن مخبَره.

ويتمثَّل هذه الفخُّ في: «النظام التعليمي الغربيِّ» الذي فرضـــوه علينـــا؛ ليزرعوا مـــن خلالـــه جِيلاً جديـــداً في المســـلمين؛ يكون غربيَّ الفكر والعقليَّة ونمَط الحياة، أيّاً كان لونه ونسبه بعد ذلك ـ على حدِّ تعبير لارد ميكالي[1] (وزير التعليم لدى الهند في حقبة الاستعمار الإنكليزي) ـ.

---

(١) إشـــارة إلى مقولة مشـــهورة قالها: «توماس بنكتـــن ماكولي: (Thomas Babington Macaulay) المندوب البريطانيّ في فترة الاستعمـــار البريطانيّ للهند، ورئيس لجنـــةَ التعليم التي عمِلت على فـــرض النظام الغربيّ للتعليم ـ حيث قال في تقرير اللجنة (Minutes on Education 1835):

“We must at present do our best to form a class who may be interpreters between us and the millions whom we govern, --a class of persons Indian in blood and colour, but English in tastes, in opinions, in morals and in intellect”.

«يجب علينا في الوقت الراهن أن نبذل قصارى جهدنا لتشكيل فئة تؤدّي دور الوســـطاء بيننا وبين الملايين الذين نحكمهم... فئة تكون هنديّة الدم واللون، ولكنّها إنجليزيّة العقليّة والأذواق والآراء والأخلاق».

(يُراجَع للتفصيل: Post-colonial studies studies reader”, (London and New York, Mintues on Indian Education, page: 428)" (عبدالوهّاب).



• **سيئات النظام التعليميّ الغربيّ الوافد:**

ومهما تكن هذه الدعوى لها بريقها الظاهري، ومهما كان التعرُّف على العلوم والفنون الجديـــدة الَّتي أحدثت نهضةً جديدةً في أوربّة ظاهره الرحمة الَّتي تُبشّر بخير، إلَّا أنَّ باطنَه كان فيه النقمة والعذاب، لأنَّ النمَط الحياتيَّ الذي قُلب فيه هذا النظام التعليمي حوَّل وجهات النظر وأســاليب التفكير رأساً على عقب، وجهَّل المسلمين بنظريات حياتهم في عقر ديارهـــم، وطعَّمهم بالأفــكار الغربية، وخلطهــا بلحومهم ودمائهم، وصاروا كأنّهم أُشــربوا حبَّها وتعظيمَها، فتغيَّرت جرَّاءَها نظرتُهم إلى الحياة وقِيَمها، وصار «الدِّين» الذي كان مصدراً لسعادتهم وفلاحهم شيئاً أســطوريّاً في أعينهم، أو تراثاً مقدَّساً من السَّلف لا صلةَ له بالحياة العمليَّة.

• **العقليَّة المريضة:**

هــذه العقليَّــة المريضة أنتجــت تأثيراتٍ ســامَّةً في المســلمين، بما تطول قائمته، وكان مِن أَهلَكِ منتجَاتها وأشــدِّها خطورةً تصوُّرُ: «القوميَّــة»، أو «الوطنيَّة» الذي قوَّض كيانَ وحدة المســلمين الذي لم يكــن لِيُقْهَر من قبلُ... حتَّى جعله كالحصَيات المنتشرة.

وقد سبق أنْ خَبُرَ أعداءُ الإسلام أنَّ وحدة المسلمين هي العائق الأكبر في طريق تقدُّمهم وهيمنتِهم، ومن ثَمَّ بدؤوا بالدعاية من أجل نشر التصوُّرِ الوطنيِّ لفكرة: «القومية» من خلال نظامهم التعليميِّ، حتَّى اعتبروها رمزاً للحضارة والتقدُّم، ورسَّخوا في أذهان أتباعهم التلاميذ أن من لم يعتنق نظرية «القومية»؛ لا يستحق أن يكون شخصاً «حضاريّاً متقدِّماً»...

ولم يلبث الشباب الغُرُّ الذين تأثَّروا بهذا النظام التعليمي، وانخرطوا في سلكه؛ أن انساقوا خلف هذا التيار القوميِّ الجديد، ولبَّوا نداءَه، ونسجوا بأيديهم خيوط الفخِّ الذي حِيك ضدَّهم وهم لايشعرون.

• **كيف روَّجوا لفكرة القوميَّة العربية؟ يشهد الشاهدون من أهلهم:**

وإذا قرأتَ تاريخ نظرية القوميَّة في البلاد العربية، ستتبيَّن أنَّ روَّادها الأولين جُلُّهم من النصارى واليهود! يقول المستشرق المعروف: «فلب كى جتي» في كتابه: «الإسلام والغرب»:

«وكان هؤلاء هم نصارى سورية ولبنان الذين تساوموا على البضاعة الغربية المتمثِّلة في: «نظرية

القوميَّة»، وكان كُتَّابُهم وشعراؤهم ورجال صحافتهم يتمتَّعون بحرِّية إضافية إبَّانَ حكم البريطانيين لمصر، وهم الذين أشعلوا الشرارة الأولى الَّتي ألهبت نظرية القومية (العربية)، وقد اخترعوا من أجل ترويج مصطلحاتها المستحدثة كـ: «حبّ الوطن»، و«القوم»، و«الحقوق الإنسانية»، كلمات جديدة، أو عدَّلوا في الكلمات التقليدية، لأنَّ التحرُّر من ربقة الخلافة العثمانية كان متوقِّفاً على نظرية القومية»(١).

ويقول مؤرخ العرب للماضي القريب جورج أنتونيوس (George Antonius) في كتابه عن نهضة العرب (The Arab Awakening) في مزيد من التفصيل والوضوح:

«بدأتْ أُولى محاولات الحركات القومية بشكلٍ منظَّم قبل تربُّع السلطان عبد الحميد على العرش بسنتَين، حيث أسّس خمسة من الشباب المتخرِّجين من كلية بروتستانت في بيروت مجمَّعاً سكنيّاً في خفاء، كلُّهم نصرانيُّون، ولكنهم رأوا حاجتَهم في ضمِّ أعضاء

---

(١) Islam and the west, Newyork 1962, P'91.

من المسلمين إلَى صفِّهم، ولـم يلبثوا أن نجحـوا في كســب عضويَّة اثنين وعشــرين مــن أتبــاع الأديان المختلفة».

وأضاف جورج في السطور التالية: أنَّ الذين طوَّروا مســيرة القومية العربية، ودفعوها إلى الأمام، يتصدَّرهم اثنان: ناصيــف اليازجي، وبطرس البســتاني. وكانا من نصارى لبنان، وكان البستاني أوَّل من أطلق نعرة: «حبُّ الوطن من الإيمان».

ولم يكن للعرب قبلها عهد بهذه النعرة، وقد شرح المصنف كيف أنَّ المسلمين أوَّل عهدهم بهذه الحركة أحجموا عنها، وتردَّدوا فــي قبولهــا، ولكنهم تكيَّفـوا معها بمرور الزمن تدريجيّــاً، ولنقرأها بلفظ جورج؛ حيث يقول:

«So it cam to-pass that the ideas which had originally been sown by the Christians were now-roughly at the turn of the century-finding an increasing receptive soil among the muslims».

«وكان من نتيجتها: أنَّ البــذرة الَّتي ألقاها نصرانيُّون، قد باتت في بدايات القرن الجديد تجد بين المســلمين أرضاً قابلة للتخصيب والنموِّ المتصاعد».

• **فكرة القوميَّة في تركيا:**

وتكرَّرت القصةُ ذاتهــا مع الشــباب الأتراك، حيث نَصَبَ في أذهانهم هذا التعليمُ الوافدُ تماثيلَ القوميةِ، وهنا كذلك يتصدَّر النصرانيون مشهدَ القصة في التأسيس لهذه النظرية! ومن ثَمّ تقول الكاتبة التركية المعروفة الســيدة خالدة أديب خانم في كتابها: «Conflict of East and West in Turkey»:

«انتهــض من ناحيــةٍ شــبابُ تركيا، يرفعــون هتافَ الجمهورية الإسلامية، والتصق السُّكَّان النصارى من ناحيةٍ أخرى بتصوُّر القوميّة»(١).

كما أثاروا العــرب والأتراك ضدَّ بعضهــم، وأوقعوا بينهم، ممَّا أدَّى إلى تفتيت الخلافة العثمانية الَّتي كانت كالجسد الواحد الموحَّد، فتفرَّقت إلى دويلات، ظلَّت هي الأخرى محكومةً من قِبلهم مدةً طويلــةً، وقد عبَّروا عن هذا التفرُّق بالحرِّية والاستقلال على حدِّ زعمهم، ولكنَّها كانت «حرِّية» باســمها وعنوانهــا، إلَّا أنَّها ظلَّــت تبعيَّةً بحقيقتها وجوهرها؛ لأن هيمنةَ الغرب الفكريَّة الَّتي جاءت

---

(١) Conflict of East and West in Turkey (P: 51)

في رِكَاب التعليم الغربي ظلَّت باقيةً راسـخةً في نفوس خرِّيجيها الذيـن تولَّوا زمامَ الأمور فـي هذه الدويلات، فكانوا رغم تحرُّرهم محكومين بحضارة الغرب وثقافته.

يقول «اللورد كرومـر (Lord cromer) فـي كتابه: «مصر الجديدة» (Modern Egypt) وهو يُعَبِّر عن دور الإنكليز في دقة:

«وكانت إنكلترا مستعدَّةً لأن تمنح الدول المحتَلَّة من قبلها الحريَّةَ في أسرع وقت ممكن، لأنَّه قد تمَّ زرعُ جِيلٍ كفؤ من السَّاسـة والخُبراء، الذيـن تزوَّدوا مـن الثقافة الإنكليزيـة، وتربَّـوا في نظامهـا التعليمـي، بما يكفي لتأهيلهم لتولِّي زمامَ الأمور في بلادهم، ولكن:

«Under no circumstances would the British Government for a single moment tolerate an independent Islamic State».

«لم تكن الحكومة البريطانية فـي حال من الأحوال مستعدَّة لتقبُّل أي حكومة إسلاميَّة حرَّة».

- **تفكيك الخلافة:**

وهكذا، فإنَّ الفخَّ الذي عملوا على نسجه منذ سنوات، حان أن يُثمر، وجاء أوان قطافه، فأضعفوا العالم الإسلامي

بعد تفريق وحدته إلى دول صغيرة متناثرة، وأحكموا عليها سيطرتهم الثقافية؛ لتبتعد بها ثقافتهم الدينيَّة، وكانت الدول الغربيَّة وجدت سبيلها عليها لتستغلَّ نفوذَها في استخدامها لمصالحها ومآربِها، وتنفيذ أحكامها الَّتي تُمليها عليها، وظلَّت الدول الكبرى تتحكَّم فيها؛ إمَّا باستعباد من شاءت أن تستعبد، وإمَّا بإعطاء حرِّية رمزيَّة لمن شاءت، ولكنها مع هذه الحرية أقحمتها في ورطة دائمة لا يَسَعُها الخروج عنها.

- **الخلافة العثمانية رغمَ علَّاتها كانت تُمثِّل سياجاً منيعاً للمسلمين:**

وتلكم هي الغاية الَّتي كان يتغيَّاها الغرب، ولم يكن له أن ينالها في ظلِّ وجود الخلافة العثمانية، لأنَّها كانت على علَّاتها ومواضع ضعفها وانحطاطها، تُمَثِّل سياجاً منيعاً مشتركاً للمسلمين، لا يتجاسر العدوُّ على تجاوزه ليعتدي على حقوق إحدى الدول المسلمة.

- **أطماع اليهود في فلسطين:**

دونكم قضية فلسطين مثلاً، فقد ظلَّت مطمحَ أطماع اليهود منذ أعوام، ولذلك وعندما عَرضت بريطانيا منطقة في

«أوغندا» عليهم للإسكان، رفضوا قبولَها، وشكَّلوا وفداً بقيادة تيودور هرتزل (Theodore-Herzl) في عــام (١٩٠٢م)، للمثول بين يدي الســلطان عبد الحميــد الثاني الــذي كان يحكم الخلافة العثمانية، والتمســوا منه السماح باستيطان فلسطين من جديد، وعرضوا مقابلَها عرضاً سخيّاً مؤدَّاه: أنَّهم سوف يسدِّدون كلَّ الديون الخارجية في ذمة الدولة التركية!...

• **ردّ السُّلطان عبد الحميد العثماني:**

ولكن الردَّ الذي وجَّهه السُّلطان عبد الحميد إليهم لقاءَ هذا الطلب ـ والذي يستحقُّ أن يكحلَ به هؤلاء المولَعون بالقومية العربية أعينَ بصيرتهــم، ويزعمون في الخلافة العثمانية أكبرَ عدوٍّ لهم ـ، وهو كما سجَّله تيودور هرتزل (Theodore-Herzl) في مذكَّراته كالتالي:

«خبِّروا الدكتور تيودور هرتــزل (Theodore-Herzl) أن يتنازل عن أيِّ محاولة استيطان دولة يهودية في فلسطين، وأنَّ اليهود لا ينالون فلســطين إلَّا بعد أن تصبح الخلافة العثمانية خبرَ كان»[١].

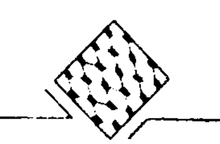
---

(١) (Quoted by Mr. Ghulam Mohammad of Indonesia, Muslimnews, Karachi, May 1968, P.8)

هذا الردُّ قطع أطماعَهم في تحقيق حلمهم لاحتلال فلسطين في ظلِّ الخلافة العثمانية، ولكنَّهم بدؤوا سعيَهم في النيل من الخلافة العثمانية، وكثَّفوا محاولاتهم ودعاياتهم من أجل هدمها وتقويضها، واستطاعوا الوصول إلى هدفهم بفضل النظام التعليميِّ الغربيِّ وما جاء في ركبه من نظريات القومية واللَّادينية، وصارت الخلافة العثمانية أثراً بعد عينٍ في خبر كان، وكان لسقوطها نتائجه الوخيمة الَّتي ظهرت، وها هو ذا الكيان الإسرائيلي الذي بين أيدينا، الذي تمخَّض من رحم هذا السقوط، ولم يعُد الأمر حكراً عليه، بل إنَّ قضايا العالم الإسلامي كلَّها في الواقع امتدادٌ لانتكاسة الخلافة!...

- **عوداً على بدء:**

عوداً على بدء، فإنِّي أعني من وراء هذا الإسهاب لَفْتَ الأنظار للتأمُّل الجادِّ في مصدر مشاكلنا وآلامنا، وأنَّه في الواقع هذه التبعية العمياء للغرب، لأنَّها هي الَّتي غيَّرت موازين حياتنا وقلبتها رأساً على عقب، وهي الَّتي أبعدتنا عن الخط المستقيم المتمثِّل في مبدأ: «الإيمان»، و«العمل الصالح» اللَّذين كانا ولم يزالا منبعَ قوتنا ومجدنا.



وأصبحنا كالمسافر الذي ضلَّ طريقَه في متاهات الحياة، وصار يسير خلف السَّراب، حتَّى إذا جاءه لم يجد شيئاً.

• **أزمة الوعي الإسلامي:**

والأسف أن مستوى الوعي في العالم الإسلامي بطيء وضعيف جدّاً، وكان من المفروض اللّازم أن تستعيد الأُمَّة وعيَها بعد انتكاسة فلسطين، وغصب القبلة الأولى، ولحوق الهزيمة على يد إسرائيل، ولكن الأدهى والأمرَّ أنَّنا لم نعتبر من هذا الحادث المؤلم، ولم نتلقَّ منه أي درس، وإنَّ عجلة حياتنا ـ ولاسيَّما حياة البلاد العربية ـ ما زالت سائرة على خطِّها السابق، لا وعي ولا إحساس ولا حركة، يلهثون خلفَ الغرب، في حالة من الانسياق الأعمى، واللّامبالاة بقِيم الدِّين، والإخلاد إلى الدَّعة وعيش الترف الزائد، والزهدِ في المكافحة والجهاد، وقد حلَّت نعرات «القومية العربية»، و«العروبة»، و«الوطن الأمّ» محلَّ التهليل والتكبير والدعوة إلى الإسلام، وقد أخذ الشقاق منَّا كلَّ مأخذٍ، ومزَّق صفوفَنا تمزيقاً.

• احتجاجٌ من نوعٍ آخر:

وعليه، فإذا كنَّا نُنظِّم حركات احتجاج أو اعتصام ضدَّ العدوان اليهودي، فالمُلتَمس: أن نضمَّ إلى حركة احتجاجنا ومظاهراتنا ضد العدوان اليهوديِّ احتجاجاً من نوع آخر، وهو الاحتجاج ضدَّ هذه العقلية المريضة الَّتي سمحت لشعبٍ مثل اليهود أن يتجاسر علينا، وينظر إلينا هذه النظرة السوداء.

وإذا كنَّا نُمرِّر قراراتٍ ضدَّ احتلالها الغاشم لأراضينا؛ فلنمرِّر أيضاً قراراتٍ ضدَّ هذا «الاحتلال الفكري» الذي سلَّطه على عقولنا وأذهاننا نفسُ الجهة [الغرب] الَّتي ألقت بذرةَ الكيان الإسرائيلي في أراضينا.

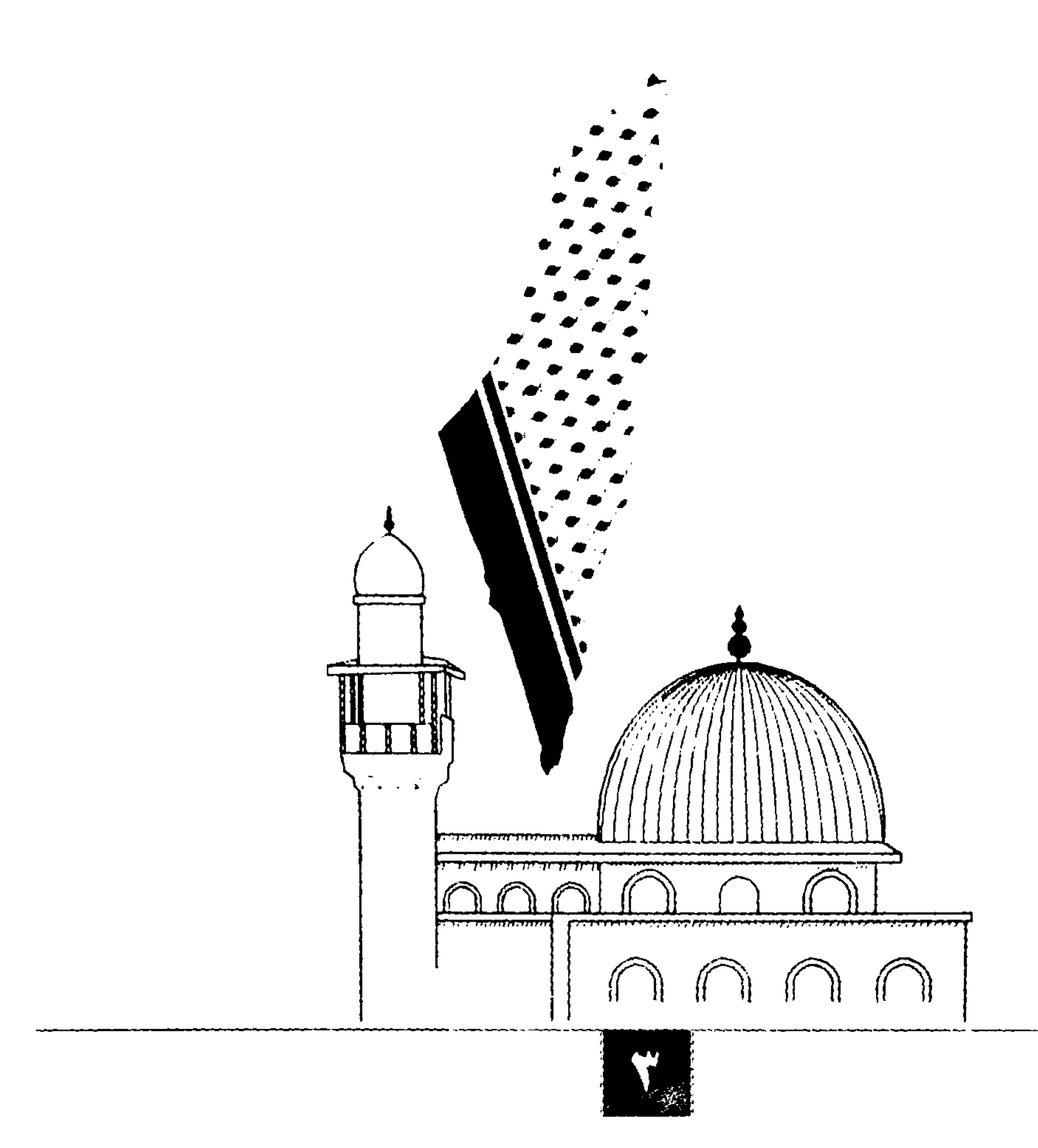
وإذا كنَّا نجدِّد عزمَنا على تخليص فلسطين من اليد الأجنبية؛ فلنجدِّد عزيمتَنا كذلك على تخليص أفكارنا من التأثيرات الأجنبية الَّتي أبعدتنا عن ديننا وإيماننا وصراطِنا المستقيم، وألقتنا على طريق اللَّادينية والهوى والتنعُّم والغفلة العارمة، وحوَّلتْنا إلى لعبة في أيدي الأعداء، تُديرها كيف تشاء وأنَّى تشاء.

• **تبعيَّة الغرب هي المشكلة:**

وما دُمنا لا نجترئ على اقتلاع جرثومة «تبعيَّة الغرب» السامَّة من جذرها؛ فإنَّ سـرطانات مثل سرطان «الكيان الإسـرائيلي» لا تزال تتولَّد (لا قدَّر الله) في جسد الأُمَّة، لأنَّ هذه المظاهرات والقرارات على كلِّ حال ترقيعات أو حلول مؤقتة، ولا تُغني شيئاً في حلِّ قضايانا المعقَّدة.

وقد أفاد مفتي فلسطين على مدار الفترة الماضية في خطابه الذي ألقاه في مدينة راولبندي للعاصمة إسلام آباد: أن أعناق العالم الإسلامي تشـرئبُّ بعد سقوط الخلافة العثمانية إلى باكسـتان، وأنَّ مسـلمي العالم يرون فيها آمالهـم، ويربطون بها أمانيهـم؛ لأنَّها الدولـة العصرية الوحيدة الَّتي تأسَّست باسم الإسلام.

وفي تقديـري فإنَّ كلمةَ المفتي العـام جاءت في محلِّها الصحيح، وعليه فإنَّ من واجب باكسـتان حكومةً وشعباً أن تحقِّق آمال المسلمين في ربوع العالم، وأن تبتعد عن الطريق المطروقة للغرب، وتختار السـبيل الأقوم الـذي هدانا إليه الإسلام، والذي سيصل بدولة باكسـتان إلى غايات السَّعادة والفلاح، كما سيخلِّص سائر الدول المسلمة من الأوحال الَّتي تورَّطت فيها، إلى حافة السكينة والأمان، وما علينا إلَّا البلاغ.



٣

لقاء مع مفتي فلسطين

السيِّد الحاجِّ محمد أمين الحسنيِّ رحمه الله تعالى

(نُشــرت هذه الكلمة في مجلة البلاغ الغرَّاء في (شهر ربيع الأوَّل ١٣٨٧هـ، الموافق: يوليو ١٩٦٧م)، بقلم مُديرها العامِّ سماحة شيخنا العلَّامة محمَّد تقي العثمانــيِّ حفظه الله تعالــى، وتناولت خلفيَّة اللِّقاء والحوار الفكريِّ الشــيِّق الذي أجراه ســماحته مع مفتي فلســطين، ونقل أفكارَه الألمعيَّة الَّتي تهدي الأُمَّة إلى طرق التخلُّص من قضاياها الشــائكة بما فيها قضيَّة فلسطين، ولم نســتطع العثور على صيغتها العربيّة، فحاولنا ترجمتَها إلى العربية بمساعدة مشكورة من الأخ الفاضل الشيخ سخاوة الله أياز، جزاه الله تعالى خيراً).

• **نبذة تعريفيَّة:**

كان مفتي فلسطين السيِّد الحاجُّ محمَّد أمين الحسينيُّ يتردَّد إلى باكستان، سعياً منه إلى إيجاد كيان متَّحد للدول الإسلاميَّة.

ولا يخفى ما تتبوَّؤه شخصيتُه من المكانة في العالم الإسلامي؛ فدوره في النشاط السياسي الإسلامي الدولي كان بارزاً منذ سنوات، وقد قضى معظمَ حياته ساعياً لتحقيق وحدة العالم الإسلامي ولمِّ شمله، كما خاض صراعاً طويلاً ضدَّ الاستعمار الغربيِّ، الأمر الذي جعله يُواجه محاكمات مختلفة، كما ظلَّ سماحته مع ذلك صاحب سرِّ الكثير من الشخصيات البارزة في السياسة العالمية في الماضي القريب.

ولا شكَّ أن السياسة فرع من فروع الدِّين، ولكن الذي نلاحظه عموماً أن الإنسان الذي يشارك عمليّاً في السياسة المعاصرة، ويجعلها هواية ليله ونهاره؛ يضعف في جانب

معتقداته ونشاطاته الدينية، لكن شخصية العلّامة المفتي لم تتأثَّر من ذلك في شيء، فبالرغم من اشتغاله بالسياسة ليلاً ونهاراً، إلَّا أن نور الإيمان والحكمة لم يزل يُشرق على وجهه، كما أن خوف البارئ تعالى يتجلَّى فيه من خلال براءته وتواضعه.

ومن المؤكَّد أن العلّامة المفتي تجاوز العقد السابع من عمره، لكنَّه رغم ذلك يتمتَّع بقوة صحِّية، فإشراق وجهه المُشْرب بالحمرة، وبياض لحيته وشعره، وطلاقة محيَّاه، ومنظره الساحر، وأسلوب كلامه الذي يتَّسم بالأناة والوقار، وبريق عينيه المنقطع النظير، كلُّ ذلك يدلُّ على أنه ما زال يتمتَّع بهمة قاهرة، وعلى أن نار عزائمه ما زالت مشتعلة ضد الاستعمار بالرغم من كبَر سنِّه.

لقد زار العلّامة المفتي باكستان عدة مرات، وقد سعدت بلقائه ومقابلته في كلِّ مرة يزور فيها الوطن، بفضل والدي الكريم سماحة الشيخ العلّامة المفتي محمَّد شفيع، وقد جاء إلى دار العلوم أيضاً غير مرَّة.

وقد رأيته لأول مرة عام (١٣٧٠هـ)، في مدرسة بمنطقة آرام باغ، في حفلة عقدت بمناسبة تكميل حفظ القرآن

الكريم لأخي الكريم الشيخ محمد رفيع العثماني وزملائه، وكان قد أثار إعجابه إلى حدٍّ لم يكن يخلو لقاؤه بعدُ عن ذكرى تلك الحفلة حتَّى بعد مرور سبع عشر سنة.

وهذه المرة لمَّا انعقد الاجتماع السنوي لأعضاء رابطة العالم الإسلامي في كراتشي في مستهلِّ شهر محرم الحرام، تفضَّل العلَّامة بالقدوم إلى باكستان، فزاره والدي الكريم، والشيخ القارئ رعاية الله (عميد الدراسات بالجامعة)، والشيخ محمد متين خطيب (نائب العمادة في دار العلوم)، في فندق «جبيس» (Jabees)، الفندق الذي كان يقيم فيه سماحة المفتي، وكنت أنا أيضاً ضمن الزائرين للشيخ، فلقِيَنا بحبٍّ ومودةٍ، كما عرَّف بأصحابه للوالد الكريم، وقد كان فيهم الكاتب السوري الشهير الدكتور معروف الدواليبي (الذي تولَّى رئاسة وزراء سورية مرتين، وهو الآن مستشار الملك فيصل في المملكة العربية السعودية) والذي زار باكستان لأوَّل مرة، فقال له الشيخ عن والدي الكريم:

«مولانا المفتي محمَّد شفيع هو أحد علماء باكستان الكبار، وكان له دور بارز في تأسيس وبناء باكستان، كما

أنه يحظى بإسهامات كبيرة في نشر تعاليم الإسلام في هذا البلد، وقد أســس مركزاً تعليميّاً كبيراً حيث يدرس الكثير من الطلاب ليلاً ونهاراً، وفيها مكتبة علمية زاخرة وُجِدت فيها كتب رائعة، ولضيق المســاحة في المدينــة قام ببناء مدرسة تشغل مساحة واسعة خارج المدينة. وهذا أحد أبناء المفتي (قالها وهو يشير إلي) قد تخرَّج من نفس المدرسة».

وبعد أن قال هذا، ابتسم العلَّامة المفتي وبدأ يقول لي: «عندما أتيتُ إلى باكستان عام (١٩٥١م) كنت صغيراً جدّاً هل تذكر؟ لقد شاركت في حفلة تكميل القرآن الكريم هنا؟».

أجبته: «نعم، طبعاً!».

وبعد ذلك بدأ المفتي يســأل عن وضــع دار العلوم، وبعد قليل دنوتُ من الشيخ قائلاً: سماحة الشيخ! أودُّ أن أقدِّم أمامك بعض الكلام لو سمحت...

«نعم نعم بالطبع!» أجاب سماحة المفتي بلطف شديد.

فقلتُ: إننا بدأنا نصدر مجلة شهرية من دار العلوم[1]، وأودُّ أن أُجْري مقابلة قصيرة معك لو سمحت.

(١) وهي مجلة البلاغ الأردية، الَّتي أصدرتْها جامعةُ دار العلوم في تلك الفترة.

فأجاب: «نعم، إنه لأمر جميل، ويسعدُني ذلك، لكن جدول أعمالي غير مؤكَّد، وقد لا يُساعدني في تحديد فرصة لذلك».

وبينما كنت أفكِّر في حل المشكلة، ابتدر الشيخ قائلاً:

«حسناً، قم بكتابة الأسئلة الَّتي تُريد طرحها في المقابلة على قطعة من الورق، وسأراها حين الفراغ، وينبغي أن تكون الأسئلة موجَزَةً».

فأسرعتُ في كتابة خمس أسئلة على قطعة من الورق، وسلَّمتُها إليه، فقرأها المفتي بعناية واهتمام، وقال:

«حسناً! سنأتي إلى دار العلوم يوم السبت إن شاء الله، وإلى ذلك الوقت سأكون قد كتبتُ إجاباتِها، وأحضرتُها معي».

ولكن صادف ذلك مرض العلَّامة المفتي يوم السبت، فجاء معظم أعضاء المؤتمر إلى دار العلوم سوى الشيخ، حيث لم يتمكَّن من الحضور، وبعد ذلك بأيام ذهبتُ إلى الفندق، فابتسم العلَّامة لمَّا رآني، وقال فور ردِّ السَّلام: «لقد أجبتُ للتوِّ عن أسئلتك، فخذها من الأستاذ عبد الحكيم عابدين، وكان الأستاذ عبد الحكيم عابدين

واقفاً هنالك، وبعد قليل أحضر لي ثلاث أوراق مكتوب عليها إجابات أسئلتي».

• **أكبر عائق في طريق وحدة المسلمين:**

وكان سؤالي الأول:

ما هو أكبر عائق أمام وحدة العالم الإسلاميِّ برأيك؟.

أجاب المفتي:

إن أكبر عائق في طريق وحدة العالم الإسلامي هو الاستعمار وحلفاؤه، ولم ينجح الاستعمارُ الغربيُّ في تحقيق أهدافه الإمبريالية إلَّا بإضعاف المسلمين من خلال تقسيمهم.

وقد كان العالم الإسلامي قبل ذلك كلِّه منسجماً في خيط واحد، وكانت حكومتهم موحَّدة على الرغم من خلافاتهم العرقية والوطنية، إلَّا أنَّ الإمبريالية الغربية حرَّضت المسلمين بعضهم على بعض، وبالتالي حطَّمت تلك الوحدة القويمة، واغتصبت العديد من بلدانهم، وقسَّمت ما تبقَّى منها إلى دول صغيرة، وأضعَفَتْها حتَّى لا تتمكَّن أبداً من الوقوف والتصدِّي أمام الأطماع والأحقاد الإمبريالية.

وفي تلك الأوضاع كان السّلاح الأكثر فاعلية للإمبريالية الغربية هو «القومية»، وهي شكل من أشكال الاستعمار الثقافي الذي لعب دوراً رئيسيّاً في خلق الانقسامات والتفريقات بين المسلمين، السلاح الذي أيقظتْ به الإمبرياليةُ عصبيةً عرقيةً وقوميةً، بحيث بدأ المسلمون يعتقدون أن الأمة والوطن هما المعياران الأساسيان للشرف والمجد، ومن هذا المنطلق تسمع في صفوف المسلمين شعارات التمييز العِرْقي والقومي.

مع أن الإسلام يعارض هذا المفهوم بشدة، فقد أسكت شعارات الجاهلية هذه، ودعا المؤمنين إلى أن يكونوا أمَّةً واحدةً بتحريرهم من قيود التعصُّب العرقي والتمييز الوطني، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

- **جهود نحو تحقيق الوحدة:**

وكان سؤالي الثاني:

وما هي الجهود المبذولة لإزالة هذه العوائق في العالم الإسلامي؟ وما مدى نجاحها في سبيل تحقيق هذا الهدف؟.

أجاب المفتي:

ولا سبيل لوحدة العالم الإسلاميِّ إلَّا أن يفهم المسلمون حقيقة دينهم، ويتحلَّوا بمعرفته الصَّحيحة، ويخلقوا الوعي الإسلامي الصَّحيح، لذلك، حيثما يكون هناك جهد لإيقاظ هذا الوعي في العالم الإسلامي، ينبغي اعتباره جهداً لوحدة العالم الإسلامي، فتدخل فيه جميع أنشطة فئات العالم الإسلامي القائمة على أسس إسلامية.

نعم هناك بالخصوص مؤسستان تسعيان إلى هذا الهدف، ويوجد فيها ممثِّلون عن كلِّ الدول الإسلامية، هما: رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ومؤتمر العالم الإسلامي بكراتشي.

- **أسباب التبعيَّة للغرب:**

وكان سؤالي الثالث:

ونحن نرى أن الدول الإسلامية غنية جدّاً بمواردها الطبيعية المتنوِّعة، ولكن رغم ذلك نرى العبودية مفروضة عليها عمليّاً وعقليّاً، لماذا الوضع هكذا؟.

أجاب العلَّامة:

لا شكَّ أن الدول الإسلامية ليس لديها قلة في الموارد المادية، ولكن الأسباب الَّتي أعاقت طريق الوحدة الإسلامية جعلتْ كلَّ هذه الموارد عديمة الفائدة والجدوى، بحيث لا ينتفع بها المسلمون حقَّ الانتفاع.

ومن أسباب عدم جدوى هذه الموارد أيضاً: أنَّ بعض الدول الإسلامية تأخَّرت كثيراً في المجال الفكري والاستكشافي، وبسبب هذا التخلُّف فإنها لا تعرف طرق الاستفادة من تلك الموارد الطبيعية الموجودة، ولا طرق البحث عن المزيد... ولكن من الجيد أن هذا التخلُّف بدأ يتراجع تدريجيّاً، فقد أصبحت البلاد الإسلامية تتقدَّم في مجالات الصناعة والحرفية.

والسؤال الرابع الذي طرحتُه هو:

إنَّ هناك شعاراً يرتفع كثيراً من قِبَل بعض فئات العالم الإسلامي؛ بأنَّ المسلمين لا يستطيعون التقدُّم إلَّا إذا قاموا بتفسير القرآن والسُّنَّة بما يتوافق مع الحضارة الغربية المعاصرة، وجعل أنظمة الحياة تابعة أو قريبة من الأفكار الغربية! ما هو رأيك تجاه هذا الشعار؟.

أجاب العلَّامة المفتي:

إنَّ سبب هذه الفكرة يرجع إلى خطأ واحد من المسلمين، وهو أنهم لم يبلِّغوا رسالة الإسلام إلى أهلها، ولم يشرحوا لهم بأن الإسلام عبارة عن نظام حياة متكامل، يوفِّر أجمل أسس الحياة للمجتمعات السليمة، كما أنه يقدر على حلِّ جميع مشاكل المجتمع البشري، وذلك في كلِّ زمان ومكان، ولا يحتاج في ذلك إلى دعم نظام آخر.

وقد كان من نتيجة الجهل بهذه الحقائق: أنَّ بعض المسلمين المثقَّفين انخدعوا بالحضارات غير الإسلامية، فإنهم لمَّا رأوها تتطوَّر في الأمور المادية، اعتقدوا أنها هي المعيار للتطوُّر والازدهار، فقد وصل بهم الأمر إلى أنهم إذا وجدوا في الإسلام شيئاً يوافق بعض الحضارات غير الإسلامية؛ مدحوا الإسلام، وإذا رأوا فيه شيئاً ضدَّها؛ أصبحوا فريسة التشكيك فيه، مهما كانت تلك الحضارة خاطئة ومعوجَّة، ولا شكَّ في أن هذه الأحوال تمثِّل أسوأ أشكال تلك العبودية الفكرية القائمة على الإمبريالية الغربية الَّتي ما زالت تتحكَّم بها بالرغم من رحيلها السياسي.

وفي ظل هــذه الظروف يقع على عاتــق جميع دعاة الإسلام والمنظمات الدينية: أنْ يُوَاصلوا جهودهم لإعادة أولئك المضلَّلين إلى العقيدة الصحيحة والإيمان المثاليِّ؛ حتَّى يعي هؤلاء ويدركوا أن الإســلام هــو النظام الأكثر مثالية، وأنَّه أفضل طريق للحياة البشرية جمعاء.

• مكانةُ السُّنَّة في التشريع:

وكان سؤالي الأخير:

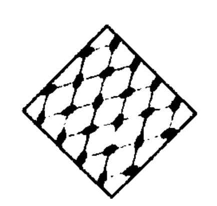
ما مكانة الحديث والسُّــنَّة فــي القانون التشــريعيِّ الإسلاميِّ؟.

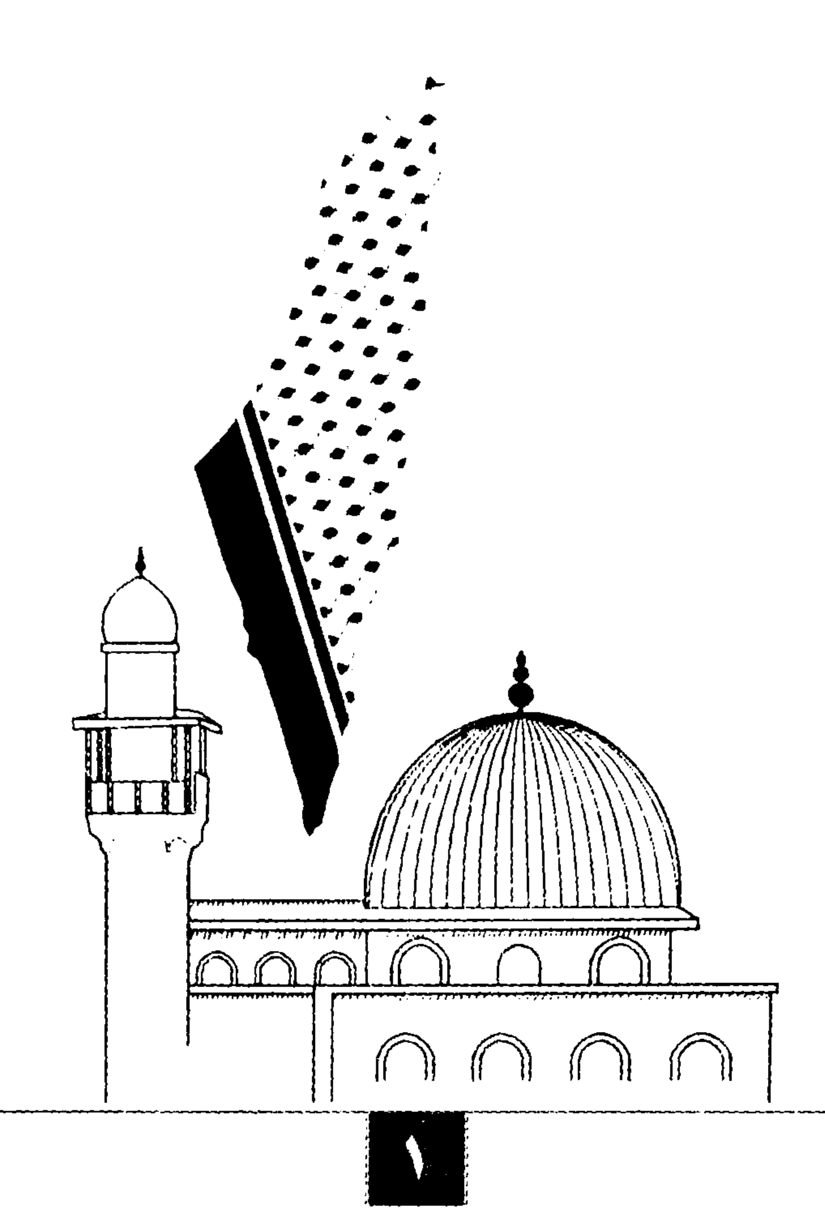
فأجاب:

إنَّ سُنَّة الرَّسول ﷺ هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد القرآن الكريم، وهي الركن الثاني من أركان التشريع، وذلك لأنَّ الأحــكام القرآنية معظمها عامَّــة تبيِّن الأصول والقواعد للتشريع، بينما كانت السُّنَّة هي المسؤولة عن بيان وشرح جميع تلك الأصول والقواعد، ومن هذا المنطلق فإنَّ السُّنَّة النبوية في الحقيقة هي شرح وتفسير للقرآن الكريم، فلا يمكن فصلُها عن التشريع الإسلاميِّ بحال.

الفصل الثاني

فلسطين اليوم





١

طوفان الأقصى

مجاهدو حماس يكسرون شوكةَ إسرائيل وهيبَتَها

(يتناوَل هذا الفصل مجموعــةً مُعرَّبةً من خطابات ســماحة العلَّامة المفتي العــام محمد تقي العثماني؛ لتوجيه المســلمين تضامناً مع قضية فلســطين كواجب شــرعيٍّ في أعقاب معركة طوفان الأقصى الــذي خاضها مجاهدو حماس في السابع من أكتوبر عام (٢٠٢٣م)، وما زالت المعركة على أشُدِّها، ونســأل الله تعالى أن ينصرهــم، ويجعل انتصارهم فاتحــةَ عهدٍ جديدٍ من الحرِّية والكرامة للأمَّة بأسرها).

اقتباسات مستخلصة
من خطبة الجمعة أكتوبر عام (٢٠٢٣م)

بعد حمد الله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله...

أيُّها الحُضور الكريم:

نُقيم الجمعةَ اليوم في الوقت الذي تشهد فيه أرض فلسطين معركةً فاصلة شنَّها مجاهدو حماس ضد إسرائيل الغاشمة المعتدية الظَّالمة.

• ضُرِبت عليهم الذِّلَّةُ:

وهم القوم الذين فُرضت عليهم الذِّلَّةُ والمسكنةُ كما شهد به القرآن الكريم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

أمَّا «حبل الله» فقد انقطع عنهم، وأمَّا حبل الناس فإنَّه يتمثَّل اليوم في أمريكا وبريطانيا وسائر أعوانِها الَّتي تسانِد ظهرها.

• **احتلالٌ غير شرعيٍّ وغير قانونيٍّ:**

إنَّ اليهودَ احتلُّوا أرضَ فلسطين (بما فيها بيت المقدس مسرى النبيِّ ﷺ والقبلة الأولى للمسلمين) الَّتي يعود ملكُها للعرب المسلمين؛ احتلالاً غير شرعيٍّ وغير قانونيٍّ.

• **الصهيونية (Zionism):**

وكان يتحكَّم في هذا الاحتلال العقلية اليهودية المؤامراتية الَّتي تُدعى: الصهيونية (Zionism)، والَّتي تعني ـ حسب زعمهم ـ أنَّ اليهود وحدهم يستحقُّون سيادةَ العالم.

ومن ثَمَّ منع السُّلطان عبد الحميد خان الوفدَ اليهودي الذي طلب تمكين اليهود من استيطان أرض فلسطين، وقال: «لن أسمح بذلك ما دُمت حيّاً»(١).

---

(١) قال السلطان عبد الحميد الثاني في إحدى رسائله إلى شيخه كما نقلها المعلّق في حاشيةِ كتابه: «مذكراتي السياسية»، ص ٣٣، ط: مؤسَّسة الرسالة:

= «إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم مئة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً ـ فضلاً عن مئة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً ـ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت المِلَّة الإسلامية والأُمَّة المحمَّدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلم أسوِّد صحائفَ المسلمين آبائي وأجدادي من السَّلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً».

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى (سلانيك)، فقبلت بهذا التكليف الأخير.

هذا وحمدت المولى وأحمده أني لم أقبل بأن ألطِّخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين... وقد كان بعد ذلك ما كان، ولذا فإني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال، وأعتقد أن ما عرضته كافٍ في هذا الموضوع الهام. وبه أختتم رسالتي هذه.

ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي بسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظَّم، لقد أطلتُ عليكم التحية، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن تحيط سماحتكم علماً، وتحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في ٢٢ أيلول ١٣٢٩هـ.

خادم المسلمين عبد الحميد بن عبد المجيد».

• فتوى علماء الأمة بمنع بيع أراضي فلسطين لليهود:

«ثم احتالوا بشراء أراضي فلسـطين من أهلها، فأفتى علماءُ الأُمَّة بمن فيهم كبير علماء شبه القارة الهندية الإمام محمد أشـرف علي التهانوي؛ بعدم جـواز بيع أراضي فلسطين لليهود[١]، كما أفتينا بفتوى مماثلة بمنعِ المسلمين

---

(١) تُراجع هذه الفتوى التاريخية في: «إمداد الفتاوى» للشيخ أشرف علي التهانوي: ٥٩/٣، ط: مكتبة دار العلوم ـ كراتشي. وقال شيخنا العلَّامة محمَّد تقي العثماني حفظه الله تعالى في كتابه الجليل «فقه البيوع»:
بيع العقارات لغير المسلمين في غير جزيرة العرب:
أما في غير جزيرة العرب، فيجوز لغير المسلمين أن يستوطنوا بلداً من بُلدان المسـلمين، فيجوز لهم عند جميع الفقهـاء أن يتملَّكوا الدُّورَ والأراضي، غير أنَّ بعض المتأخِّرين من فقهاء الحنفيَّة منعوا بيعَها لهم في المصر، لئلَّا يكثُر سوادهم فيه. جاء في «الدُّرِّ المختار»:
«الذمِّي إذا اشترى داراً، أي: أراد شراءها في المصر، لا ينبغي أن تُباعَ منه، فلو اشترى يُجبر على بيعها من مسلم، وقيل: لا يُجبر إلَّا إذا كثُر».
لكن قال ابن عابدين تحته:
«قال السّرخسـيُّ في «شـرح السِّـير»: فإن مصَّر الإمامُ فـي أراضيهم للمسلمين، كما مصَّر عمر رضي الله عنه البصرة والكوفة، فاشترى بها أهلُ الذِّمَّة دُوراً وسـكنوا مع المسـلمين، لم يُمنعوا من ذلك، فإنَّا قبِلنا منهم عقدَ الذِّمَّـة ليقِفوا علـى محاسـن الدِّين، فعسـى أن يؤمنـوا، واختلاطُهم بالمسلمين والسَّكنُ معهم يحقِّق هذا المعنى. وكان شيخنا الإمام شمس الأئمَّة الحلوانيُّ يقـول: هذا إذا قلُّوا، وكان بحيـثُ لا تتعطَّل جماعاتُ =



في كشـــمير المحتلَّة حين دبَّرت الهند لشرائها من أهلها، بغيةَ تحويل الأكثرية المســـلمة فيها إلى أقلية، وكان لها تأثيرها في الحدِّ من هذه المؤامرة».

- **كلمة مؤسِّس باكستان:**

وعليه، فإنَّ إسرائيل ـ كما قال مؤسس باكستان القائد محمد علي جناح ـ هي «ولد غير شرعي» للدول الغربية.

وفيما تحكيه أخته السيدة فاطمة جناح: أنَّ آخر ما كان يهمُّ أخاها المؤسّـــس قبيل وفاته جُملة من القضايا الَّتي

= المسلمين، ولا تتقلَّل الجماعةُ بسُكناهم بهذه الصِّفة؛ فأمّا إذا كثُروا على وجهٍ يؤدِّي إلـــى تعطيل بعض الجماعات، أو تقليلِهـــا، مُنعوا من ذلك، وأُمروا أن يسكُنوا ناحيةً ليس فيها للمسلمين جماعة. وهذا محفوظٌ عن أبي يوسف في الأمالي».

والحاصلُ: أنَّ تمكينَهم من السَّـــكن في عمارات المسلمين وشرائِهم الـــدُّور والأراضيَ فيها مقيَّـــدٌ بألَّا تفوتَ به مصلحةٌ معتبرةٌ للإســـلام والمســـلمين، ويُمنع من ذلك حيثُ تفوتُ به تلك المصلحة، ولذلك أفتى العلماء المعاصرون بمنع بيع الأراضي من اليهود في فلســـطين، وبإهمال هـــذه الفتوى وقع ما وقـــع في هذه الأراضي المقدَّســـة من احتلال الصّهيونيّين، والنَّكبات الفادحة الَّتي أصابت أهلَها، عجَّل الله لهم الفرج، والعياذ بالله العليِّ العظيم»، (فقه البيوع: ١/١٧٣ ـ ١٧٤، فقرة: ٦٨، طبع: دار القلم ـ دمشق).

منها: قضية كشمير، وقضية فلســطين، وقضية إندونيسيا، وقضية إيواء المهاجرين[١].

• **خلفيَّة المقاومة:**

وقد حَشَــرَتْ إســرائيلُ مسلمي فلســطين في ناحية صغيرة من غــزة، وحاصرتهــم وقطعت عليهم أســباب

(١) IBID, P41، نقـلاً عـن كتـاب السـيِّدة فاطمـة جنـاح بالإنـكليزيـة (My Brother)، ص ٢٧ ـ ٢٨. تقول أخت السيِّد المؤسِّس فاطمة جناح في كتابها «أخي»، ص ٢٧ ـ ٢٨، وهي تتحدّث عن اللَّحظات الأخيرة من حياته:
«كان عيد هذا العام لـ(٢٧) من أغسطس، وكان يُعدُّ رسالتَه الَّتي يوجِّهها إلى الشــعب، وقد كانت له خطابات سياســية كثيرة، وقدَّر الله تعالى أن يكون هذا آخر خطابٍ سياسيٍّ يوجِّهه إلى شعبه، وكان فيما قال أثناء هذا الخطاب: «كان عيدنا الســابق في جوٍّ من الحزن والكآبة بســبب كارثة انفصال باكستان، وتَلَتْها هجرة الآلاف من المسلمين إلى باكستان، والذين ضلُّوا في متاهات الطرق، وتجرَّعوا من الآلام ما لا بأس بها،.... ولن يقرَّ لنا قرار حتَّى يستقرَّ هؤلاء..»، وأضاف: «رسالَّتي إلى الدول الشقيقة رسالة مواساة وصداقة، وإننا لنمرُّ بمرحلة حرجة في تاريخنا، ولنفتح أعيننا تجاه لعبة قوة السياسة الَّتي تُمارس في قضية فلســطين وإندونيسيا وكشمير، ولا نســتطيع التأثير في المنظمات العالمية إلَّا من خلال تشــكيل جبهة موحَّدة تمثِّلنا..»، وعلَّقت الســيدة فاطمة عليها: وكانت هذه آخر كلماته الرسمية». (تعريب: عبد الوهّاب)

العيــش، ولكنَّهم بفضل إيمانهم وبســالتهم لــم يفتؤوا يجاهدون دولة إســرائيل الغاشــمة المعتدية، وكانوا ولم يزالوا يقابلون دباباتهم المدرَّعة بالأحجار.

وكانوا مع ذلك في طور الإعداد الحربيِّ خلالَ ذلك، حتَّى أعدُّوا العدَّة: صنعوا جُملةً مــن الصواريخ، وهيَّؤوا ما يلزم من الاســتعدادات، وقرَّروا أن يشــنُّوا عليهم هذه الهجمة الَّتي هجموها في السَّابع من أكتوبر، ودخلوا ضدَّ إســرائيل في معركة فاصلة، لم يسبق لها نظير في التاريخ منذ احتلال إسرائيل، حيث مات فيها أكثر من ألف يهودي.

- **الدعم الغربيُّ للكيان:**

نزلت الدول الغربية بما فيها أمريكا لمساندة إسرائيل بالعدَّة والعتاد، ولكن يا أسفاه على الدول المسلمة الَّتي لم تســاند بعدُ مسلمي فلسطين إلَّا بشــيء من الكلمات الخاوية لتأييد القضية!...

ولكن مجاهدو حماس كسروا شوكة إسرائيل ببسالتهم وشجاعتهم وتفانيهم في الله.

والعدوُّ لا يــكاد يســتطيع النيل منهــم، فينتقم من المدنيِّين! وإنَّ المدنيين المستضعفين في غزة تحت قصفٍ

عدوانيٍّ وحشيٍّ من قبل إسرائيل، ولكن أين الحكومات المسلمة من مساعدتهم ومساندتهم؟!...

• تخلُّف الإعلام عن دوره في مساندة القضية:

عارٌ على الإعلام الباكستاني الذي ما زال يتسكَّع خلف نزاعات سياسية فارغة، وألعاب رياضية، ولا يخصُّ موضوع فلسطين الساخنة بالتغطية والتوجيه والتوعية.

• واجبُ الحُكَّام في ضوء القرآن الكريم:

تتوجَّه إلى الحكَّام المسلمين الآيةُ التالية في ظروف غزة الراهنة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

وقد قال الرسولُ الكريمُ ﷺ: «**المؤمن أخو المؤمن، لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه**»[1].

---

(١) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، الطبعة الهندية، ص ١١٢٦، برقم: (٢٤٤٢): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّ سَالِماً أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: =

• **واجبُ عامَّة المسلمين:**

إذا لم يَسَعْنا كعامة المسلمين الوقوفُ معهم في صفِّهم، فلا أقَلَّ:

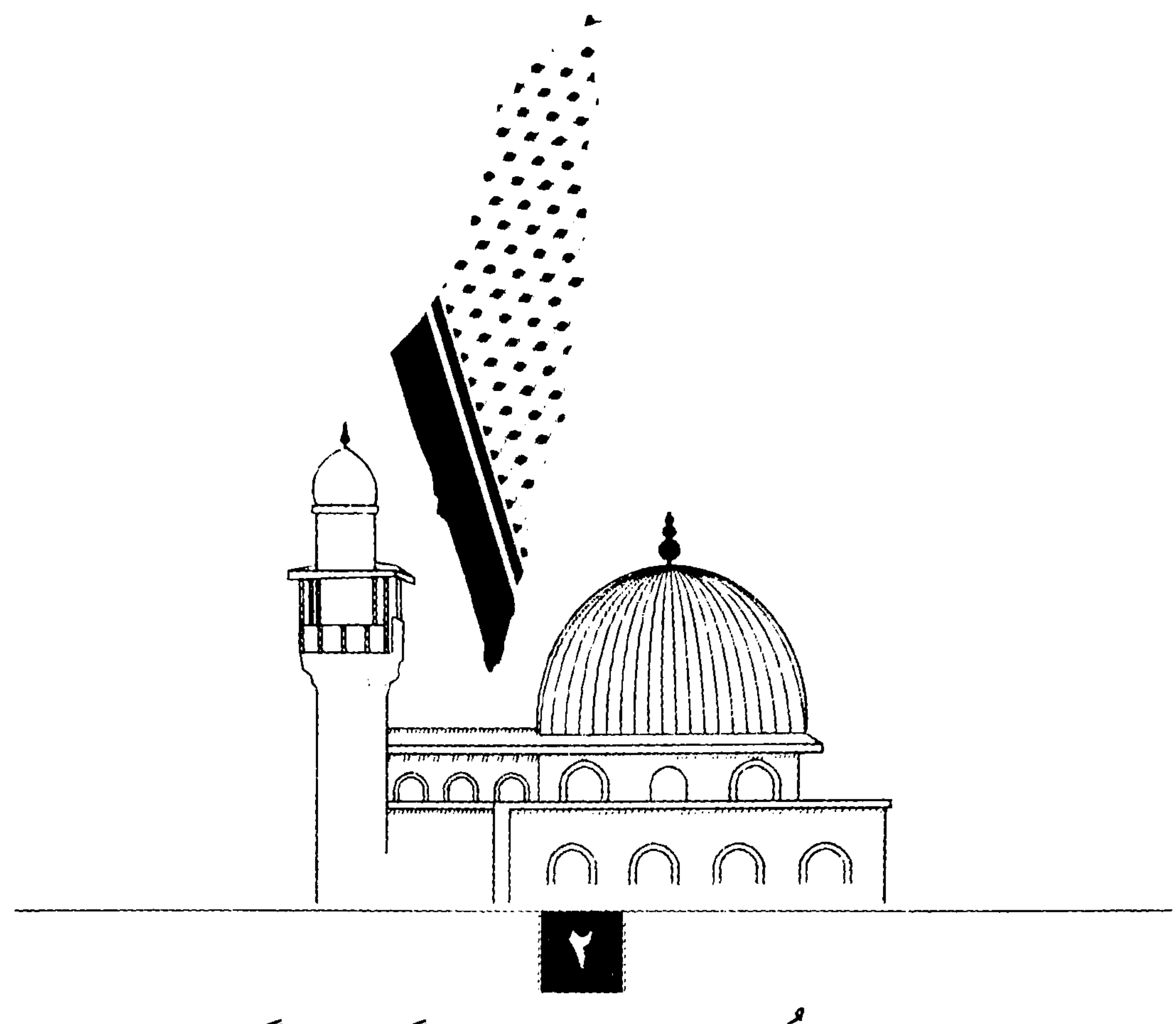
أوَّلاً: أن يفعل الكلُّ منا في حدود منصبه واستطاعته ما يستطيع أن يفعل في توجيه الحكومات، لأنَّ الضغطَ الشعبيَّ له تأثيره على توجهات الجيش والحكومة.

ثانياً: وأن نساعدهم وننصرهم بالدعاء، و«**الدعاء سلاح المؤمن**»، فلنلتزم الدعاء لهم في جميع الصَّلوات والمناسبات.

ثالثاً: كما يجب أن نهتمَّ بتقديم المساعدات إليهم بأي شكل ممكن.

والله تعالى نسأل أن ينصر المسلمين المستضعفين، ويدمِّر إسرائيل، ويشتِّت شملهم، ويدمِّر ديارهم، إنه تَعالى على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

= «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».



٢

قضيةُ فلسطين تاريخيّاً ودينيّاً، وواجبُ المسلمين حكوماتٍ وشعوباً تجاه مسلمي غزَّة

(خطبة الجمعة الَّتي ألقاها سماحة العلَّامة الفقيه المفكِّر والداعية المُصلح محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى، أمام جمع حاشد في جامع دار العلوم كراتشي في (٢٠ من أكتوبر ٢٠٢٣م) وقد مرَّت على معركة طوفان الأقصى الَّتي خاضتها حركة حماس ثلاثة عشر يوماً.

وقد انتشرت على نطاق واسع على مواقع التواصل الاجتماعي، وحقَّقت تأثيراً ملموساً في إيجاد الوعي، وتصحيح المفاهيم، ولفت الأنظار إلى خطورة القضية، والقيام بنجدتها).



أيُّها الحضورُ الكريم:

- **قصفٌ عدوانيٌّ مستمرٌّ:**

الأوضاعُ الَّتي يمرُّ المسلمون بِها لا تسمح لنا بأن نتحدَّث في غير موضوع فلسطين وغزَّة، كلُّ الذين يتابعون أخبارَها يعانون قلقاً أيَّ قلق جرَّاءَ القيامة الَّتي قامت على أهل غزَّة؛ حيث ذهب ضحيَّةَ وحشيَّة القصف العدوانيِّ فيها آلاف المسلمين، رجالاً وشيوخاً، نساءً وأطفالاً أبرياء... لايفتؤون يستهدفون المدنيِّين، وحتَّى المستشفيات الَّتي تعجُّ بالمرضى النِّساء والأطفال الذين يتأوَّهون ويتألَّمون!... يقصفونَهم بكلِّ معاني الوحشية والهمجيَّة والعدوان، حتَّى حوَّلوا المدن العامرة إلى أنقاض من ركام.

ويفعلون هذا بمرأى من القوى العالميَّة الَّتي تتزعَّم لواءَ الحقوق الإنسانية، ولكنَّها ـ هي الأخرى ـ تقف منها موقفَ المتفرِّج من هذه المجازر البشرية، بل تشجِّعها، وتُعلن دعمَها لإسرائيل جهاراً نَهاراً.

وهنا نقطتان، أريد بلورتَهما أمامكم:

- **النقطة الأولى: ما الذي دفع حماس لتتحدَّى الكيان الإسرائيلي المتفوِّق عدداً وعُدَّة؟:**

ثمَّة دعاية إسرائيلية مكثَّفة انتشرت في العالم، وسبَّبت سوءَ تفاهمٍ لدى البعض بمن فيهم بعض المسلمين أنفسهم، حين يتساءلون:

ما الذي دفع حماس لتتحدَّى الكيانَ الإسرائيليَّ الذي يفوقها من ناحيته الحربية والعسكرية أضعافاً مضاعفةً، وكيف غامرتْ بتوجيه الصواريخ إليه مع علمها بأنه مدعوم بالقوى الغربية؛ مثل: أمريكا وبريطانيا، الَّتي تسانِد ظهره.

بينما يزعم البعض أن حماس خَطَتْ خطوةً انتحاريةً غير عقلانيةٍ، لأن حماس تتحدَّى قوةً لا تستطيع مجابَهتها فضائيّاً، على أنَّها يعوزها المعدَّاتُ الحربية اللازمة.

ـ الكيان الإسرائيليُّ لا يتمتَّع بأيِّ قوة ذاتية:

ولكن الواقع أنَّ الكيانَ الإسرائيليَّ لا يتمتَّع بأيٍّ قوة ذاتية، وإنَّما يستمدُّ كلَّ قوتِهِ من هذه القوى الغربية الَّتي أنبتَتْه في قلب العالم الإسلامي نباتاً سيِّئاً، يبتغون من خلاله تحقيق مآربِهم ومصالحهم.

ـ سرطان في قلب العالم الإسلاميِّ:

اختلقوه ليكون كالسَّرطان في قلب العالم الإسلامي في عام (١٩٤٨م) بعد استقلال باكستان بعامٍ، وفي الوقت الذي بدأت فيها باكستان تستقلُّ وتنهض كقوةٍ إسلاميةٍ صاعدةٍ؛ أُقيم هذا الكيان على حساب دماء الآلاف من المسلمين في مجزرة قرية «دير ياسين» وأشلائهم؛ حين ذبحهم اليهود وشرَّدوهم تشريداً! وهو الوقت الذي قال فيه مؤسس باكستان القائد محمد علي جناح: «إسرائيل (ولد غير شرعي) للقوى الغربية!».

ـ محاولات التطبيع:

ثمّ أرغموا حُكَّامَ المسلمين بحيلةٍ أو أخرى أن يعترفوا به، وبدأت محاولات «التَّطبيع»، ومُورس الضغطُ على بعض البلاد الإسلامية الَّتي أقدمت على الاعتراف به؛ بما فيها مصر والأردن.

وامتداداً لتمهيد التَّطبيع مع الكيان الإسرائيلي كدولة مستقلَّة، كان قد آن الأوان ليُمارَس الضغط على السعودية الَّتي تُعدُّ مركزاً للمسلمين، ليُطبِّع معها، ولئن طبَّعت معها العلاقات السعودية مرةً؛ فسيصبح من

الصعب جدّاً لبقية الأقطار الإسلامية أن تأبى الانخراط في سلك التطبيع.

ولم يكن هجوم حماس عن فراغ وصُدفة، بل له تاريخ...

مسلمو فلسطين ومنذ يوم احتلال الكيان الإسرائيلي يتعرَّضون للاضطهاد والتعذيب والبربرية على أيدي اليهود، ولا يخفى على المسلمين الواعين تاريخ المجازر البشرية الَّتي ذَبح من خلالها اليهودُ مسلمي فلسطين.

وقد أحسَّت حماس (والله أعلم): لئن طبَّع العالم الإسلامي مع هذا الكيان؛ فإنه سيتحوَّل إلى سرطان لا يزال يتصاعد قوة حتَّى يتجاوز فلسطين، ويستشري شرُّه في عموم العالم الإسلامي، لتحقيق المشروع الصهيوني الذي يسمُّونه: «إسرائيل العظمى».

ـ كيف أعاقتْ حماسُ مشروعَ التطبيع الصهيوني:

ومن هنا كانت انطلاقة حماس، وقرَّرت أن تقضي على مشروع التطبيع بضربة قاضية؛ لتعرقل مسيرتَه على الأقل، وقد حقَّقت النجاح في هذا الصَّدد، حيث إنَّها أنشأت وعياً في المسلمين تجاه القضية، وتراجعت بفضلها محاولات التطبيع وتوقَّفت.

ـ إنَّه جهاد، إمَّا نصر أو استشهاد:

وقد علِم المسلمون في فلسطين أنَّ الموت حتم، فهلَّا نموت موتَ عزٍّ وشرف وكرامة، مجاهدين شهداءَ في سبيل الله، وإن لم يعقله العقلانيُّون الذين يعبدون عقولَهم، أما الذين يعبدون الله تعالى، ويعرفون قيمةَ الشهادة في سبيله، ومكانتها عند ربِّهم الكريم؛ فإن إقدامَهم على هذا الهجوم إقدامٌ سديد جاء في أوانِه ومكانه.

وقد قضى هذا الهجوم على هيبة الكيانِ الإسرائيلي الَّتي زرعوها في قلوب الناس، ولئن داوَم المسلمون على هذا الجهاد، وقامت الدول المسلمة بمسؤوليتها الملقاة على كواهلها تجاهها؛ فليس ببعيد عن رحمة الله أن يحوِّلها إلى معركة حاسمة فاصلة، فينقذنا الله تعالى بفضل منه ورحمة من هذا السرطان.

• **والنقطة الثانية: ما الذي يمنع اليهود من تأسيس دولة على أرض يربطهم بها تاريخهم؟:**

إنَّ هناك من يتساءل: ماذا عسى يمنع اليهود أن يؤسِّسوا دولةً في أرضٍ يربطهم بها تاريخُهم، بحكم كونهم بني إسرائيل، وباعتبار كونها أرضَ معظم الأنبياء

الذين كانوا من بني إسرائيل؟ وهذا في الواقع ناشئ عن سوءِ فهمٍ روَّجت له الدعاية الإسرائيلية.

ـ من هم سكَّان فلسطين الأصليُّون، تاريخيّاً؟:

الواقع الذي يجب أن أوضِّحه هنا: أنَّ فلسطين لم يحكمها بنو إسرائيل إلَّا تسعاً وتسعين (٩٩) سنةً، من بين آلاف السنين، وكان سكَّانها الأصليون كنعانيين، وهم الذين انتقلوا من جزيرة العرب إلى فلسطين؛ الأمر الذي يدلُّ على أن عرب فلسطين هم أوَّل من بدؤوا باستيطانها، وحلُّوا فيها، ومكثوا فيها قروناً، ثم فتحها سيدنا سيموئيل بعد بعثة سيدنا موسى عليهما الصَّلاة والسَّلام، فتلاه حكمُ بني إسرائيل تسعاً وتسعين سنةً، على أنَّ هذه الفترة هي الأخرى قد تخلَّلتها فجوات وثغرات انقطع فيها حكمهم، ثم عاد من جديد[1]، بالإضافة إلى ما ارتكبوه من جرائم

---

(١) «يرث المسلمون المسجد الأقصى، وبيت المقدس بحقٍّ؛ لأنَّ أول من سكنها من الناس هم اليبوسيُّون من العرب الكنعانيين، وبقوا صامدين فيها حتَّى بعد أن تمكَّن يوشع ـ بعد موسى ـ من دخول بعض أجزاء فلسطين، وبقيت على عربيتها حتَّى جاء داود وتمكَّن من دخولها، ومع ذلك لم يبرحها جميع أهلها، لأنهم هم الذين عملوا ـ في أيام داود ـ على تعمير المدينة، والمساعدة في بناء =

ومعاصٍ، حتَّى بلــغ بهم الأمر إلى قتل الأنبياء، بشــهادة القرآن الكريم، كما يشــهد بــه كتابُهم المقــدس: «العهد القديم».

وإذا قدَّرنــا هذه الفترة الزمنية، فقــد انقضى عليها ـ منذ انقراض حكمهم ـ ألف وثمان مئة (١٨٠٠) عام، لم يدُم خــلال هذه المدة حكمُ اليهود على فلســطين برهةً من زمن.

= الهيكل، ولم يدم حكمُ اليهود لها إلَّا مــدة قصيرة لم تزد على مئة سنة في عهدي داود وســليمان، ثم عاد الحقُّ إلى أهله بعد تشتُّت ورثة مملكة سليمان...

ويدلُّك على ذلــك: أن القدس وفلســطين كانــت عربية خالصة العروبة، وتتوالى إليها الهجرات العربية قبل الإسلام بحوالي عشرة قرون، وما كان الحكم الفارســي، واليوناني، والروماني، إلَّا عن طريــق حاميات موزَّعة فــي أنحاء البــلاد، أو عن طريــق التبعية السياسية، ولم تكن لهؤلاء هجرة جماعية، ولذلك يقول أحد خبراء الأجناس: إنَّ رأي الفقهــاء الأكفاء من أهل الخبــرة والمعرفة أنَّ فلاحي فلســطين الناطقين بالعربية هم أخلاف للقبائل الكنعانية، الَّتي كانت تعيش هناك قبل الغزو الإسرائيلي ـ زمن موسى ـ وظلت أقدامُهم ثابتة في التربة منذ ذلك التاريخ» (يُراجَع للتفصيل: المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسّيرة، ص ٦٤، لمؤلفه: محمد بن محمد حسن شُرَّاب).

وليت شعري؛ كيف يهبُّون الآن ـ وبعد ثماني عشرة مئة عام (١٨٠٠) ـ ويدَّعون أنَّها أرضُ آبائهم، فيستحقُّون البقاءَ فيها ولو على حساب سُكَّانها الأصليين؟!.

ـ فلسفة ركيكة:

ولئن صحَّ الاعتراف بهذه الفلسفة، فإنَّ هذا سيبرِّر للهنود الحُمر في أمريكا أن يدَّعوا استحقاقَ الاستيلاء على حكم أمريكا، وتشريدِ أهلها، بحجَّة أنهم كانوا مُلَّاكها السابقين قبل كذا وكذا من المدة الزمنية، بل سيبرِّر للشعوب المحكومة بالحكومات المعاصرة أن يجرِّدوا أهلَها من حكمها، ويَحِلُّوا محلَّها! هل هناك من يستسلم لهذة الحجة الواهية الركيكة؟!...

ولكن الدول الغربية اعترفت بهذه الحجَّة لصالح الكيان الإسرائيلي، في الوقت الذي كانوا منتشرين في أطراف العالم شَذَرَ مَذَرَ، فجمعوهم من إنكلترا وفرنسا وسويسرا وروسيا وغيرها لإحلالهم في أرض فلسطين، ولو على حساب تشريد سُكَّانها الأصليين وإبادتهم الجماعية.

ومن هنا وفي عام (١٩٤٨م) ساهمت بريطانيا ومعها أمريكا مساهمتها الكبيرة في تربية هذا الولد الحرام،

وأعلنتْ تأسيسها، ولم ينقضِ على إعلان رئيس وزرائها «بن غوريون» ساعتان حتَّى أعلنت أمريكا الاعتراف بها رسميّاً، كدولة، مع أنها قامت على مذابح المسلمين في «دير ياسين» الَّتي تعرَّض فيها آلاف من مسلمي فلسطين للإبادة والتشريد.

وعليه، فإنَّ الدعوى بأنها حقُّ اليهود خطأ ويجافي الواقع سياسيّاً، لأنَّهم بمعزلٍ عن أرضها منذ ثماني عشرة مئة عام، لم يحكمها في معظم هذه الفترة إلَّا المسلمون.

وقد أسكنهم المسلمون طيلةَ فترة حكمهم بشكلٍ آمنٍ، وإنّما منعهم السُّلطان عبد الحميد إبَّانَ الخلافة العثمانية من استيطانها، ولكنه لم يُسئ معاملتَهم، ولم يحظر على حريتهم الدينية، ولم يبخسهم شيئاً من حقوقهم الأساسية... ولكنهم اجتمعوا بعد تفرُّقهم ليدَّعوا الحقَّ في فلسطين.

ـ أوّل من بنى بيت المقدس:

وقد يدَّعي البعض من منطلق دينيٍّ: أن سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما الصَّلاة والسَّلام بنيا الهيكل، ولا مانع لدينا نحن ـ المسلمين ـ من الاعتراف بذلك، كما

ذكره القرآن الكريم، حيث بناه سيدنا داود، كما بنى سيدنا سليمان المسجد الأقصى، ولكن القول بأن سليمان أول من بنى المسجد الأقصى قولٌ مخالف لبعض الأدلَّة الناطقة.

الواقـع أنَّ الله تعالى بنى بيتيـن، أولهما بيت الله في مكة المكرمة، بناه الملائكة أولاً، ثم سيدنا آدم، ثم جاء سـيدنا إبراهيم ليُعيد بناءه بعدما اندرست آثاره، وعليه؛ فإنَّ سيدنا إبراهيم ﷺ لم يكن بانياً له، وإنما كان مجدِّداً لبنائه القديم، بأمرٍ من ربِّـه.

وهكذا، فإنَّ سـيدنا سـليمان ﷺ لم يكـن بانياً مؤسِّسـاً للبيت المقدس، بل تدلُّ الروايات[1] أن أوَّل

---

(١) ـ روى البخاري رحمه الله ورضي عنه في صحيحه: عن أبي ذر رضي الله عنه: أنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ مسـجد وُضِع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**»، قال: قلتُ: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**»، قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعين سنة، ثم أينما أدركتْكَ الصلاة فَصَلِّ، فإن الفضل فيه**». هكذا نقلته من البخاري.

ـ وروى الحافظ في كتابه «المستقصى» بسـندٍ عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ مسجد وُضِع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**»، قلتُ: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**»، قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعين سـنة**»، ثم قال: زاد الفرا: «**أينما أدركتْكَ الصلاة فَصَلِّ، فهو مسـجد**». ثم قال: هذا حديث صحيح، أخرجاه في الصحيحين، =

من بنى المســـجد الأقصى هو سيدنا آدم ﷺ، ولكن اندرست آثاره بعد ذلك، فجاء ســيدُنا داود وسيـدنا ســليمان عليهمــا الصَّلاة والسَّــلام ليجــدِّدا بنـاءَه

= وأخرجه النســائي والقزوينــي، نقلته من باب: أي مســجد وضع في الأرض أول، من باب: فضائل بيت المقدس، يُروى بعد ذلك باب بُني بيت المقدس على أســاس قديم، قال: والأساس الذي أسَّسه سام بن نوح عليه السلام، ثم بناه داود وسليمان عليهما السلام على ذلك الأساس.

قلتُ: وقد يقال: ينبغي أن يكون الذي أسَّسه سام عليه السلام على بناء القبلة الحديث المقدَّم؛ فإنَّه رُوي عن الأزرقي، عن مجاهد، قال: لقد خلق الله الأرض بألفي عام، وإن قواعده في الأرض السابعة السفلى. ثم روى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنَّ البيت الحرام من بناء الملائكة عليهم السلام.

- ثم روى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ آدم عليه السلام أول من أسَّس وصلَّى فيه، وطاف به، ثم درس موضع البيت من الطوفان، حتَّى بعث اللهُ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فرفعا قواعده، وإذا كان الأمر كذلك، وكان بينه وبين المســجد الأقصى أربعون ســنة، كان ابتداء المســجد الأقصى قبل ســام عليه السلام، فإنَّه قال في كتاب «المغني في غريب المهذب»: إنَّه كان بين آدم ونوح عليهما السلام ألف ومئة ســنة، ونبَّه الإمام الخطَّابي في كتاب «الأعلام» له، على أنَّ من بنى المسجد بعضُ أولياء الله تعالى قبل داود وسليمان عليهما السلام، ثم بناه داود وســليمان، وزادا قبَّة، ووسَّعاه، فأضيف بناؤه إليهما، والله تعالى أعلم.

(يُراجَع: تاريخ بيت المقدس، للإمام عبد الرحمن بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ)، ص ٣٦، ط: مكتبة الثقافة الدينيَّة).

القديم، وإذا كان غيرنا يدَّعي الانتماء إليهما فإنَّهم أنبياؤنا كذلك.

وعجباً لِليهود الذين يدَّعون الانتماءَ إليهما من ناحيةٍ، ويصرِّحون من ناحيةٍ أخرى في كتابهم المقدس باسم «العهد القديم» أنَّ سليمان ﷺ قد ارتدَّ، واختار الوثنيةَ، الأمر الذي ردَّ عليه القرآنُ الكريم قائلاً: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فيرمونه من ناحيةٍ بالوثنية، ويدَّعون من ناحيةٍ أخرى أنَّها ذكراه الَّتي يستحقُّونها.

• وعليه، وفي ضوء ما أسلفنا، فإنَّهم لا يستحقُّونها بأيِّ دافع سياسيٍّ، كما لا يستحقونها بأيِّ دافع دينيٍّ.

ولكن اصطنعته أمريكا ومن يدور في فَلَكها من الدول الغربية؛ ليكون سرطاناً في قلب العالم الإسلامي، ومنذ يومئذ وهو يضطهد المسلمين في فلسطين بأشدِّ أنواع التعذيب والظلم والتنكيل، فاستعدَّت حماسُ لمقاومته، وأعدَّت عدَّتها في خلال خمس وثلاثين سنةً؛ ليهجموا عليه هذه الهجمة، مع سابق علمها بأنَّ الكيان الإسرائيلي سيعامِلهم بالمثل وأشدَّ، وأنه سيُؤدي إلى ضحايا وشهداء.

• صمتُ العالم الإسلاميِّ هو المأساة الكبرى:

ولا ريب أنَّها مأساة كبيرة، ولكنَّ المأساة الكبرى أن العالم الإسـلاميَّ كلَّه فـي صمتٍ، وبمعـزل عن نصرة حماس الَّتي تُكافح من أجل قوة العالم الإسلامي وشرَفه وكرامته، ولا يتجاوزون الإدانات والبيانات الكلامية إلى المساعدات الواقعيَّة العمليَّة المؤثِّرة.

• أحكامُ الشَّريعة في وجوب الجهاد:

والشـريعة الإسـلامية تأمـر بفرضية الجهـاد على المسلمين، بمبدأ الأقرب فالأقرب عندما تتعرَّض إحدى بقاعهم لهجوم غير المسلمين، حيث يجب الجهاد أولاً على سـكان تلك البقعة، وإذا لم يكفِ عددُهم، فيجب على من يليهم، وإن لم يكفوا، فعلى من يليهم، وهكذا يمتـدُّ هـذا الـوجـوب إلى الدول المجـاورة القريبـة، ولكن يجب على كلِّ هؤلاء بقدر اسـتطاعتهم، وعليـه فيجب على جميع الدول المسـلمة مساعدتهم بالنفس والمال والدفاع[1].

---

(١) يُراجع للتفصيـل: تكملة فتح الملهم بشـرح صحيح مسـلم، كتاب الجهاد.

ولكن ذلك يحتاج في الوقت نفسه إلى تخطيط حكيم يجعل هذه المساعدة في صالحهم، ولا يحوِّلها إلى وبالٍ عليهم، ومن أجل هذا التخطيط الحكيم ينبغي للعالم الإسلاميِّ أن يوحِّد كلمتَه للتوصُّل إلى خطة عمل حاسمة ومدروسة تصبُّ في صالح إخوانهم في غزة.

• **الحاجة إلى دعمٍ شامل ولكن حكيم:**

وقد رزق الله دولتنا باكستان جيشاً يتمتَّع بقوة عسكرية قلَّما يتوافر مثلها لأيِّ بلد، ويجب عليها أن تُمِدَّهم، ولكن بحكمةٍ تجعل هذا الإمداد في صالحهم ولا يضرهم، لأنَّه ليس من الحكمة مكاشفتها بالهجوم دون تخطيطٍ سابقٍ مدروسٍ يضمن نفعَها لهم، وإنما يحتاج الموضوع إلى خطة حكيمة محكمة مسبقاً، توجب مساعدتها على جميع الدول بما فيها باكستان، وفَّقهم الله تعالى لذلك.

وإني لأدرك أنَّ جيشنا يتمتَّع بنعمة الإسلام، وبالعواطف الإيمانية الَّتي يُستبعد معها أن تتبنَّى سياسةَ الصمت، ولا تسعى جهدَها لنسج خطة حكيمة. إنِّي أؤمِّل بأنَّها تعد هذه الخطة، (قدَّر الله تعالى ذلك)، وأدعو الله تعالى ألَّا تتقاعس.

• **الثعبانُ الإسرائيليُّ سيتمدَّد إذا لم يُقمع رأسُه:**

فإنِّي أخشى أنَّ الثعبانَ الإسرائيلي إذا لم يُقمع رأسُه في هذه المرحلة، فإنه سيتمدَّد ويتجاوز ثغور فلسطين ليلدغ سائر الدول الإسلامية.

وعليه، فإنَّ جميع الدول المسلمة مكلَّفة بإعداد خطة عمل حكيمة، تضمن اقتلاع هذه النبتة الفاسدة من جذورها.

وأما عامة المسلمين الذين لا يحسنون قتالها هناك، فإنَّهم مكلفون بإعانتهم بأيِّ شكل ممكن، بما في ذلك تزويدهم بالمساعدات الإنسانية والمالية.

ونحمد الله تعالى أن يسَّر لنا القيام بحملة دعم مالي متواضعة؛ نُصْرَةً لإخواننا المقهورين في غزة[1]، والحمد لله الذي يسَّر إيصالها إليهم.

---

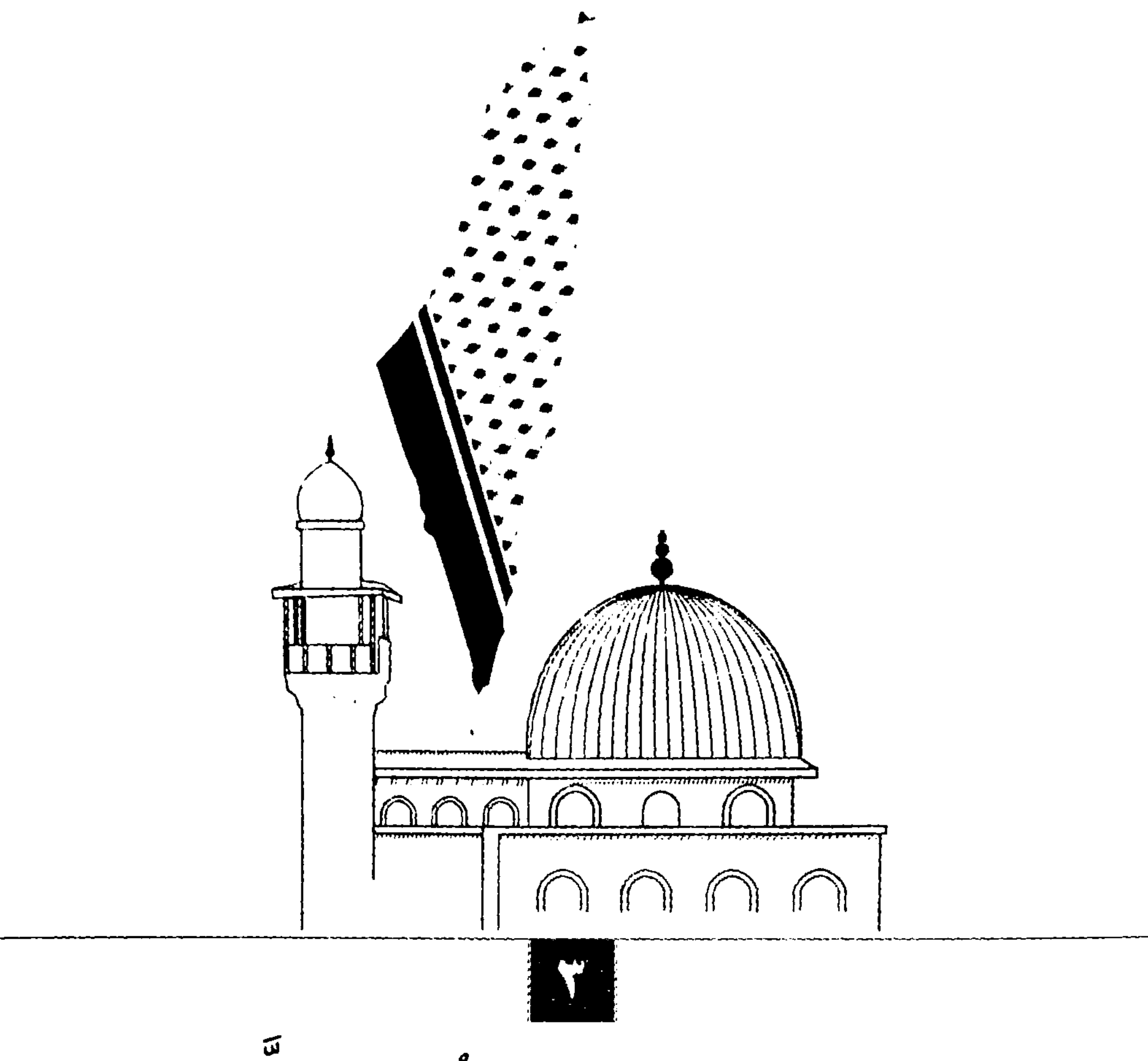
(١) أعلن «قسمُ إمداد المتضرِّرين بالآفات الطبيعيَّة»، التابع لجامعة دار العلوم كراتشي، بقيادة رئيسِها العلَّامة محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى مشروعَ الدعم الماليِّ الإنسانيِّ للشعب الفلسطينيِّ الغزَّاويِّ الباسل الذي تضرَّر جرَّاءَ القصف الإسرائيليِّ العدوانيِّ، بعد معركة السابع من أكتوبر (٢٠٢٣م)، وما إن تمَّ الإعلان حتَّى بدأت تتوالى =

وباب المساهمة فيها مفتوح، ويجب أن نقرن هذه الحملة الداعمة بالدعوات الصَّالحة، ولنتخيَّل كيف لو كان هذا القصف ـ لا قدر الله ـ يستهدف أبناءنا ونساءنا وشيوخنا، ماذا يكون شأننا وشعورنا بالمسؤولية؟، بمثل هذا الشعور بالمسؤولية فليعدَّ الكلُّ عدَّته، ويلتزم الإنابة إلى الله، وهذا ما يجب على العبد المؤمن، يفعل ما في مستطاعه، وينيب إلى الله تعالى، سائلاً إيَّاه أن يحقِّق وعده الذي قطعه في القرآن الكريم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وفقنا الله تعالى وإياكم.



= المعونات على القسم المعنيِّ ثقةً من عامة المسلمين في الإدارة الأمينة لهذا القسم، وفعلاً فقد دبَّرت الإدارةُ المعنية سُبلَ إيصالِها إلى أهلها المستحقِّين بكلِّ ما أمكن، واعترفت الجهاتُ المستلمة بالجهود الإغاثية والمساعدات الإنسانية الَّتي قدَّمتها دار العلوم وثمَّنتها وشكرتها، ونشرت بعضَ مشاهدِها كذلك. جزى الله تعالى القائمين على هذا المشروع عن الأمة خير ما يجزي عباده الصالحين المجاهدين. (عبد الوهَّاب)



٣

العدوان الإسرائيليُّ في غزَّة إجرامٌ حربيٌّ بكلِّ المقاييس

(محاولة تعريب لِكلمة العلَّامة الفقيه المفكِّر سماحة المفتي العام محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى، في يوم الجمعة (٢٧ من شهر أكتوبر ٢٠٢٣م)، استعرض في بدايتها أحدث الأخبار المأساوية عن العدوان الوحشيِّ الإسرائيليِّ على غزَّة، وما يقارفه الكيانُ المحتلُّ المعتدي من الهمجية الشرسة في حق المدنيّين العُزَّل، وقصفهم الظالم، ممَّا تُجرِّمه القوانين الحربية الَّتي تدَّعيها الدول الكبرى الَّتي هي الأخرى ـ تساند هذا العدوان، ومن ثَمَّ تطرَّق إلى قواعدِ الإسلام العادلة الَّتي سنَّها رسولُنا الكريم المبعوث رحمةً للعالمين ﷺ، وامتثلها أتباعُه في خضمِّ الحروب على مَرِّ العصور).

بعد حمد الله تعالى، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، والتمهيد...

أيُّها الحُضور الكريم...

- **أوَّل من وضع قوانين الحرب:**

كانت الحروب قبل الإسلام لا تحكمها قواعد وأصول، ولا قيم وآداب، كانوا يقتلون النساء والرجال، والصِّغار والكبار، والمقاتلين والمسالمين، ويسوقون الجميع بعصا واحدة بمنتهى الوحشية والعدوان.

- **أحكام القتال في الشَّريعة:**

وكان سيدنا الرَّسولُ الكريم ﷺ المبعوثُ رحمةً للعالمين أوَّل من وضع للحرب أصولها وقواعدها الَّتي لم تكن في حسبان البشر، وعلَّم أتباعه آدابها وقيمها، وحثَّهم على اتِّباعها وامتثالها كمسلمين، وإن كان العدوُّ ينقض أو يُخالف، فإنَّ وباله عليه، ولكن المسلمين تمسَّكوا بتعاليم رسولهم الكريم ﷺ بالنواجذ، وكان الرسول الكريم ﷺ إذا

سيَّر جيشاً يأمرهم أَلَّا يقتلوا امرأةً أو صغيراً أو شيخاً[1]، أو عابداً يعبد حسب ديانته في كنيسته[2].

وأثبت للعالم أنَّ الحرب ليست مجرَّد مبادرة بالإبادة والقتال، بل هو عمل لــه قوانينه وضوابطــه الَّتي تجب مراعاتها، وقد امتثلها السَّــادةُ الصحابةُ الكرامُ ﷺ كلمةً كلمةً، فكانــوا إذا واجهوا امرأة أو شــيخاً وهم في أوج حربهم يتكفكفون عن قتالهما.

- **خطورة الالتزام بالمواثيق:**

كما علَّمهم التزام المواثيق والمعاهدات، وحذَّرهم من نبذها ونقضها، وقد حقَّقت الأمة الإسلامية هذه الأحكام النيِّرة بأسوتهم بما لا يوجد له نظيرٌ في تاريخ البشر.

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (تحقيق: عوامة): ٥٧٤/١٧، برقم: (٣٣٧٩٠): عَنْ خَالِدِ بْنِ الْفِزْرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ أَحْمِلُ سَـفْرَةَ أَصْحَابِــي، وَكُنَّــا إِذَا اسْــتُنفِرْنَا نَزَلْنَا بِظَهْــرِ الْمَدِينَةِ، حَتَّى يَخْــرُجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولَ: «**انْطَلِقُوا بِسْمِ اللهِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، تُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانِياً، وَلَا طِفْلاً صَغِيراً، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا**».

(٢) أخرج ابن أبي شــيبة في مصنفــه (تحقيق: عوامــة): ٥٧٩/١٧، برقم: (٣٣٨٠٤): عَنِ ابْنِ عَبَّــاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَــهُ، قَالَ: «**لَا تَقْتُلُوا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ**».

• **قصَّة سيدنا معاوية رضي الله عنه:**

فقد ورد: أنَّه كان بين سيّدنا معاوية رضي الله عنه وبين الروم عهدٌ، وكان يسيرُ نحو بلادِهم، حتَّى إذا انقضى العهدُ، غَزاهُم، فجاء رجل على فرسٍ أو بِرْذَونٍ وهو يقولُ: «الله أكبرُ، الله أكبرُ، وفاءٌ لا غَدْرٌ».

فنظروا فإذا عَمرو بن عَبَسَةَ، فأرسَلَ إليه معاويةُ، فسأله، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«مَن كانَ بينَهُ وبينَ قومٍ عهدٌ فلا يَشُدُّ عُقدةً ولا يحلُّها حتَّى يَنقضيَ أمَدُها، أو يَنبِذَ إليهم على سَوَاءٍ»**، فرجع معاوية[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: الأرنؤوط: ٣٨٨/٤، برقم: (٢٧٥٩)، ولفظه: «كان بين معاويةَ وبين الروم عهدٌ، وكان يسيرُ نحو بلادِهم، حتَّى إذا انقضى العهدُ غَزاهُم، فجاء رجلٌ على فرسٍ أو بِرْذَونٍ وهو يقولُ: الله أكبرُ، الله أكبرُ، وفاءٌ لا غَدْرٌ، فنظروا فإذا عَمرو بن عَبَسَةَ، فأرسَلَ إليه معاويةُ، فسأله، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«مَن كانَ بينَهُ وبينَ قومٍ عهدٌ فلا يَشُدُّ عُقدةً ولا يحلُّها حتَّى يَنقضيَ أمَدُها، أو يَنبِذَ إليهم على سَوَاءٍ»** فرجع معاوية»، وأخرجه الترمذي (١٦٧١)، وقال: حسن صحيح.

- **النَّهي عن المُثْلة:**

وقد نهى النَّبيُّ ﷺ عن المُثْلة في الحرب[١]، ونهاهم أن يقطعوا أنوفهم وعيونهم وأيديهم.

وقد مثَّلت قريشٌ في غزوة أحد بكثيرين، وأسقطوا سيدنا حمزة رضي الله عنه شهيداً، واستخرجوا كبده ومضغوه، وكان أبوسفيان لم يُسْلم بعد، وقال للرسول الكريم ﷺ في عناد: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسُؤْنِي»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ١٣٥/٣، برقم: (٢٤٧٤): عن عبد الله بن يزيد الأنصاري: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النُّهْبَى وَالمُثْلَةِ».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: ٦٦/٤، برقم: (٣٠٣٩)، وتمام الحديث: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رضي الله عنهما يُحَدِّثُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلاً - عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ، فَلَمَّا =

ولكن النبيَّ الكريمَ ﷺ نهى المسلمين عن مثلها.

تلك هي سُنن الحرب الَّتي وضعها سيدُنا الرَّسولُ الكريم ﷺ قبل أربعة عشر قرناً.

• ازدواجيَّة الغرب:

وقد جاء الغرب بعد قرون ليتظاهر أمامنا كأنَّه هو الذي سَنَّ ما يسمِّيها بقوانين الحرب، والواقع

= أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِئَةً، سَبْعِينَ أَسِيراً وَسَبْعِينَ قَتِيلاً.
فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ، قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**»؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟**»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**».

أنَّهم لـم يسنُّوها إلَّا لِتحمي مصالحَهم ومصالحَ الدول الكبرى تحت غطائِها، وتفقد مصداقيتَها عندما يتعلَّق موضوع الحرب بالمسلمين.

وإنَّ واقعَ المسلمين المسـتضعَفين في غزَّة خيرُ شاهدٍ على ذلك؛ حيث يقتِّلون نساءنا وأطفالنا وشيوخنا، ويقصفون المساجد والمستشـفيات والكنائس ويفجِّرونها تفجيراً بما يرادف المثلة تمامـاً، حيـن تتطايـر أشـلاء الضحايا هنـا وهنـاك جرَّاء التفجير، ولكنَّهم يُقارفـون هذه المجزرة في عمًى مطبق عن هذه القوانين الحربية الَّتي تُجرِّمها.

إنَّها أرض الأنبياء، الَّتي أُشرب أطفالها وشبابها حبَّ الشهادة في سبيل الله، وقد رأيتُ مشاهد الشباب والأطفال وهم ينقشـون أسـماءهم على سـواعدهم في حالة من الاستبشـار، لكي يمكن التعرُّف عليهم إذا استشهدوا في حادث قصف، أو وقعوا تحت ركام.

- **أيُّ عدوان هذا العدوان!:**

أضِف إلى ذلك: أنَّهم قطعوا عنهم حاجيات حياتهم، منعوا كهرباءهم ومياههم، فلا يسمحون بوصول قطرات

من الماء إليهم! أيُّ عدوان هذا العدوان! وأي وحشيةٍ هذه الوحشية الَّتي يقارفونها!...

وأما الذين يرفعون لواءَ الحقوق الإنسانية، ويحملون راياتِ القوانين الحربية، فهم متكاتفــون مع هذا الكيان الإسرائيليِّ الظالم ويحثُّونه على المزيد!...

وترِد علينا هذه الأخبار المأساوية الَّتي تُقلقنا وتُفجعنا، ولا نملك أكثر من التحسُّــر والتأوُّه، هذا شأن كلِّ مسلم ينبض قلبه لمساندة القضية، ولكنَّه لا يملك حولاً وطولاً، فيقف حائراً لا يعي ما ينبغي أن يصنعه، ويتســاءل: ماذا عسى أن نفعل ونحن عاجزون عن مساعدتهم في الحرب، جاهلون بقواعدها وتكتيكها؟ وإذا شاء الله وانطلقنا هناك للمشــاركة الفعلية فلا نكاد نأمَن هل نكون عوناً لهم أم نزيدهم عبئاً على عبئهم، لا سيَّما أنَّ حربَ اليوم لم تعد بالسيوف والرماح، وإنما هي حرب التقنية والتكنولوجيا، ولسنا منها في شيء.

ولكن الأســف يعصِرنا حينَما نجد الأقطار الإسلامية من مراكش إلى أندونيسيا ـ وهي خمس وخمسون دولةً ـ صامتةً لا تحــرِّك فيهم هذه المجازر الوحشــيَّة ســاكناً!

يُدِينون الإجرام الإسرائيلي ببيانات شفهيَّة، ولكنهم لا يتخذون إجراءاتٍ عمليةً، وهذا ما يزيدنا حزناً واضطراباً.

وبالنسبة لوطننا؛ فإنَّه قد بلغ حالةً متناهيةً من الانحطاط الاقتصادي الذي جعلَه على شفا جرفٍ هارٍ، وقد كبَّله صندوق النقد الدولي بسلسلة من ديونه المرهقة الَّتي لا تسمح له بالكثير من التحرك، فضلاً عن اللااستقرار السياسي الذي ضبَّب أفق مستقبلنا ومصير انتخاباتنا! أمَّا على المستوى الاجتماعي فحدِّث عن موجات الغَلاء المتصاعدة ولا حرج.

وهنا نتساءل:

- **ماذا ينبغي أن يصنعه إنسانٌ عاديٌّ، لا يملك حَوْلاً ولا قوَّةً؟:**

الشريعةُ لها أحكامها وتوجيهاتها لكلِّ نازلة ومصيبة، وهي تأمر الإنسان إذا ما داهمتْهُ مصيبة أن يبذل جهدَ طاقتِه الَّتي أوتِيَها للتخلُّص منها، وعليه؛ فإن عامَّة المسلمين ينبغي أن يهتمُّوا بما يلي في ظلِّ الظروف الراهنة:

ـ **أولاً**: أن يهتمَّ الكلُّ منا في حدود جاهه ومنصبه ومواضعِ نفوذه بتوجيه عناية الجهات الحكومية والإشرافية والعسكرية إلى هذه القضية، ليتَّحِدوا وسائرَ الأقطار الإسلامية، ويمدُّوا يدَ العون إلى إخوانهم في غزة وفلسطين بعد أن تكالبت القوى الغربية لقمعها وإبادتِها، لأنَّ الدول الإسلامية إذا هبَّت يداً واحدةً تستطيع أن تقضي على إسرائيل ولا تترك لها أثراً بعد عين.

ـ **وثانياً**: أن نمدَّ يد عوننا المالي إلى إخوتنا المقهورين. وقد وفَّقنا الله تعالى أن نفتح مشروعاً متواضعاً لمساعدتهم بفضله، ومعلوم أن دونَ الوصول إليهم خرط القتاد، ولكنَّا مكلَّفون ببذل جهد الطاقة، وما زالت المساعدات تصل إليهم شيئاً فشيئاً، رغم الصعوبات الَّتي تحول دون الوصول.

ـ **وثالثاً**: تقتضي هذه الظروف العصيبة أن نفرَّ إلى الله تعالى، كما أرشدنا إليه تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

فلنخصص من أوقاتنا ـ ولا سيما في خلواتنا ـ للدعاء من أجلهم، فالدعاء سلاح، ولكن ينبغي أن يكون دعاءً بمعنى الكلمة، لأنَّ الدعاء ليس مجرَّد كلماتٍ تُقرأ، وإنما

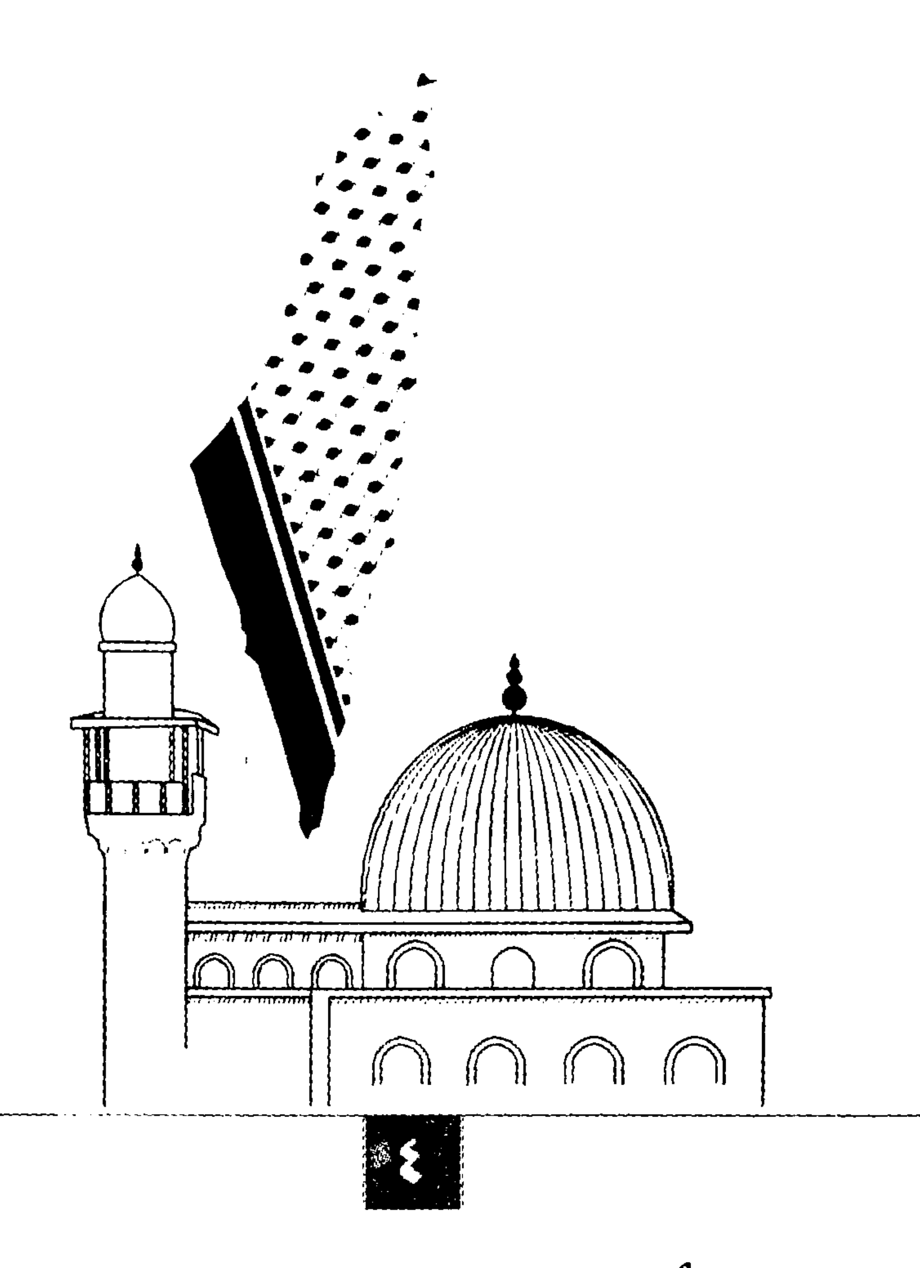
هو تضرُّع وابتهال، وإنابة إلى الله تعالى، فلنسأله متضرِّعين مبتهلين، مستحضرين قدرة الله تعالى وقوَّته وحوله.

وقد وعد الله بالإنجاء لمن يتوسَّله في ظلمة مصائبه، كما نجَّى سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام، حيث قال تعالى وهو يحكي لنا قصته: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

هذا ما يأمرنا به سبحانه وتعالى لنعمله جهدَ طاقتنا، وما بعد ذلك موكول إلى قَدَر الله تعالى، ونحن به راضون إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.





٤

روائعُ الإيمانِ في فلسطين

(مقتَبَسٌ مُعَرَّباً من كلمة العلَّامة المفتي العام محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى في إحدى حلقاته الإصلاحية في (٢٩ من أكتوبر للعام ٢٠٢٣م)، وكان موضوع الحلقة: عقيدة التوحيد بين الشريعة والطريقة «التزكية والإحسان»).

عندما يترسَّخُ الإيمانُ في قلب المؤمن، ويختلط بلحمه، ويسري في شرايينه، فإنَّه يأتي بمثل هذه الأعاجيب الَّتي يُشاهدها العالم في فلسطين...

مجموعةٌ من الأحرار المؤمنين المناضلين الذين لا يملكون مدفعيَّةً أو طائرةً ـ وإنَّما يمتلكون صواريخ معدودة من صنعهم ـ ولكنَّهم هبُّوا لمكافحة الكيان الإسرائيلي بكلِّ قوَّته العسكرية، ومعه كلُّ القوات العالمية الكبرى الَّتي اجتمعت لمساندته.

• **قوَّة الإيمان سرُّ ثباتهم وصمودهم:**

إنَّها قوةُ الإيمان حين تخالط بشاشتُه القلوب، وتختلط حرارتُه بالقلوب واللُّحوم، حينَها لا يخاف المؤمنون أحداً من البشر كائناً من كان.

هذا الشعور الإيمانيُّ هو الذي رزقهم هذا الثبات والصمود في وجه الكيان الإسرائيلي، وهو الذي جعلهم

يقولون: لا نبرح عاكفين هنا في غزتنا، سنبقى هنا مهما كان الثمن.

لأنَّ الإيمان الذي منحهم الله في قلوبهم رسَّخ علاقتَهم بربِّهم، فلا يهمُّهم بعد ذلك أن يجتمع الأعداء كلُّهم ضدَّهم بأسلحتهم المتطوِّرة وطائراتهم الأمريكية، لا يخافونها أبداً؛ إيماناً منهم بأن مقاومتهم جهادٌ في سبيل الله، إمَّا استشهاد أو انتصارٌ!...

فَلَأن يموتوا شهداءَ يُرزَقون عند ربِّهم، أحبُّ إليهم من أسباب الدنيا كلِّها، وإن انتصروا واقتلعوا هذا السرطان فتلك هي الغاية.

هذا هو شعورُهم وحماسهم.

هكذا يكون المؤمن الصَّادق؛ يضع علاقتَه بربِّه فوق كلِّ شيء، وينبذ الدنيا وملذاتها وراء ظهره، لا يخاف أو يطمع إلَّا في الله تعالى، اعتقاداً منه أنَّه لا مانع لِمَا أعطى، ولا معطي لِمَا منع.

• **رسالة ودرس:**

وقد أراني البعض رسالةً بلسانهم يقولون: «لا تصلُّوا علينا صلاة الجنازة على الغائب؛ لأنَّنا أحياء، وأنتم الأموات!».

من أين يستمدُّون هذه القوة والجرأة الخطابيَّة؟!...

إنَّها نابعةٌ عن قوةِ وسموٍّ إيمانهم الراسخ في قلوبهم، فلا يخافون بفضلـه قصفاً ولا دبَّابـةً... خافوا الله تعالى فهان عليهم كلُّ شيء سواه.

الواقـع أنَّ الجهادَ في سـبيل الله إكسـيرٌ يحوِّل الإنسانَ ذهباً، وأي إنسان يحتكُّ بهذا الإكسير الذهبيِّ يصير ذهباً!...

كما كان في عهد النبيِّ ﷺ حين أحدث هذا الجهادُ في السَّادة الصَّحابة ﷺ ذلك الانقلاب الصالح.

أوَّلاً: في العهد المكيِّ؛ حيث عاشـوا فترةً كلُّها أذى وتعب وجهاد.

كيف كانوا يُسـاقون إلـى الأرض المحترقة الملتهبة وعليهم الأحجار!...

ولكنّهم مأمورون بالصبر والتحمُّل!...

وقد أثمر هذا الصبر في نهاية المطاف، وعندما دخل الإيمان في قلوبهم، واسـتقرَّ في أحشـائهم، وسرى في دمائهم، وصاروا مؤمنين بما تعنيه الكلمة من معنى!...

تجلَّت عجائبُ هذا الإيمان في أحوالهم.

فترى أحدَهم يُطْعَنُ بُرمحٍ ينفذ في جوفه، يخرج الدم ويفور وهو في قلب المعركة، ولكنَّه يقول: فزتُ وربِّ الكعبة[1]!...

أيُّ إيمان هذا الإيمان!...

هل من أحدٍ يتصوَّر الموتَ ماثلاً أمامَه: كيف سيكون شأنه من الجزع والخوف؟!...

ولكنَّها عقيدة التوحيد عندما تتشرَّبُها القلوب، فتجرِّدها عن خوف كلِّ كائن سوى الله تعالى ﷻ.

---

(١) فقد أخرج البخاريُّ في صحيحه: ٤/١٨، برقم: (٢٨٠١): «عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَاماً مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقَدَّمُكُمْ؛ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيباً، فَتَقَدَّمَ فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَوْمَؤُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ، فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ، فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا رَجُلاً أَعْرَجَ صَعِدَ الجَبَلَ، قَالَ هَمَّامٌ: فَأُرَاهُ آخَرَ مَعَهُ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيَّ ﷺ: أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ، فَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَأَرْضَاهُمْ، فَكُنَّا نَقْرَأُ: أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا، وَأَرْضَانَا، ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ».

لأنَّه يعتقد اعتقـــاداً جازماً أنَّ الله تعالـــى هو المُحيي والمميت، وأنَّ وعوده الَّتي قطعها له من نعيم الآخرة حقٌّ لا ريب فيه، فيطمع فيما عند الله تعالى ولو على حساب دنياه وملذَّاته الفانية.

• **حقيقةُ التوحيد:**

تماماً كما قال الشاعر السعديُّ الفارسيُّ:

موحـــد چـــه برپائے ریزی زرش
چـــه فولاد هندی نهی برســـرش
امید وهراســـش بنـــا شـــد زکـــس
همیں است بنیاد توحید وبـــس

المعنـــى: «الموحِّد: ضَـــع تحتَ قدمَيه ما شـــئتَ من الذَّهَب (إغراءً له على مال)، وضَع على رأسِه ما شئتَ من الفولاذ الهنديِّ (تخويفاً إيَّاه)، ولكنَّه لا يطمَع في شيءٍ، ولا يخاف أيَّ شيءٍ إلَّا الله سبحانَه، وهذا بالذات أساسُ التوحيد فحسب».

ومن أســـباب مشـــاكلنا: أنَّنا ربطنا آمالَنا بغير الله، حتَّى بأعدائِه؛ نطمع فيما عســـى أن يُمدُّونا به من مالٍ وعطاء...

ولا نربطها بربِّ العالمين الذي خلق كلَّ هذه الأسباب، وهو مُعطيها ومانعُها، وباسطُها وقابضُها... ومن ثَمّةَ نَلقى من مظاهر الذلِّ والهوان على الناس ما نرى... فإلى الله المشتكى.

- **هل نُقاطع المنتجات الإسرائيلية[1]؟:**

«ويستفتونني في مسألة مقاطعة المنتجات الإسرائيلية؛ هل نقاطعها أم لا؟.

ومنهم من يقول: إنَّ الكيان الصهيوني لا ينال من دَخل الشركات اليهودية أمثال: (KFC)، و«ماكدونالدز» إلَّا خمساً أو عشراً في المئة، والباقي يذهب لصالح مُلَّاكها المسلمين المحلِّيين!...

وأقول: إنَّها ليست مسألة الفتوى الشرعية، وإنما هي قضية الحَمِيَّة الإيمانية، والغَيرة الدِّينية.

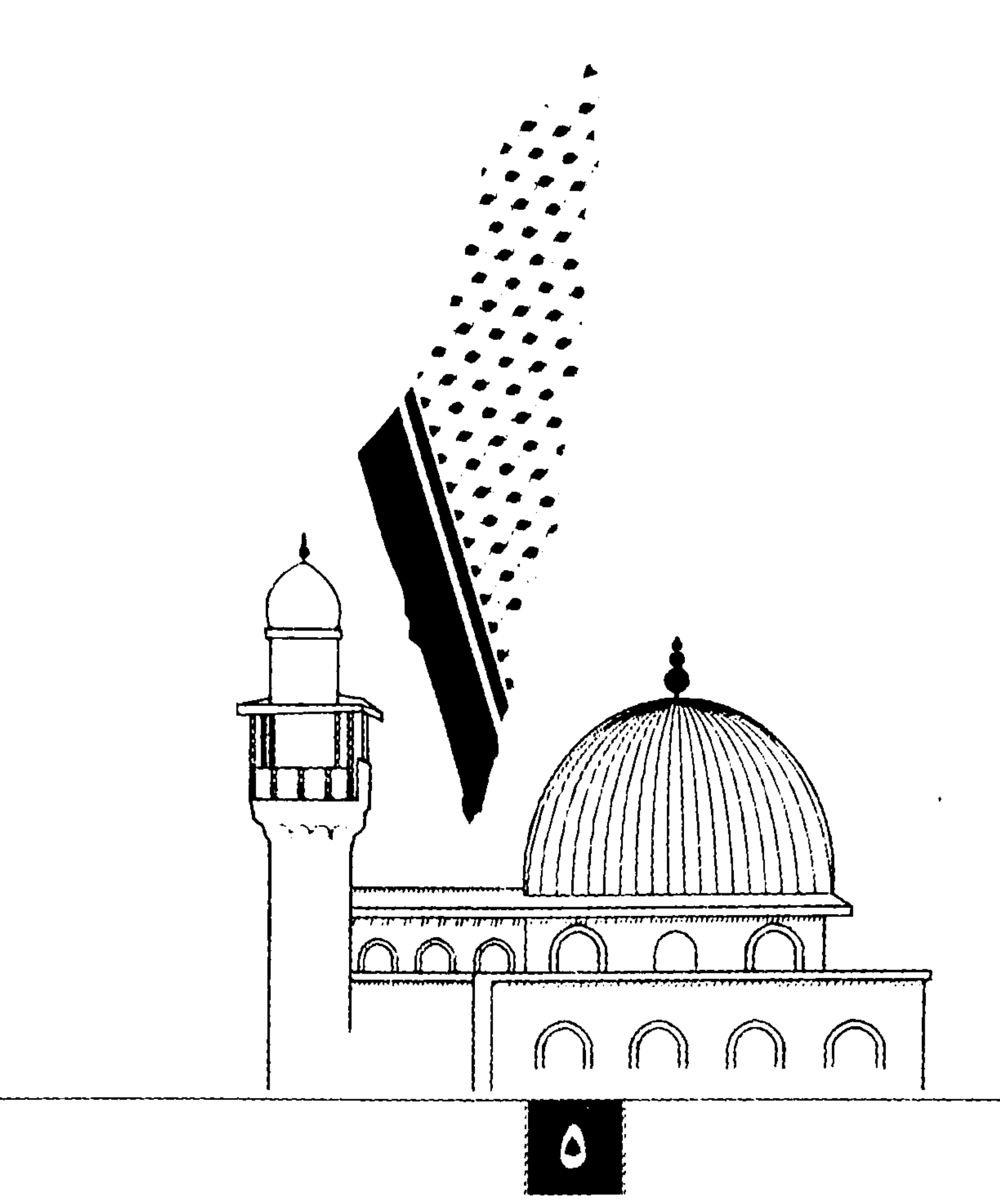
فهل يرضى أحدُنا ـ مثلاً ـ أن يقع أي جزء من دَخله المالي في نصيب من يكيد لقتل أبيه؟! ولو كان هذا الجزء واحداً في المئة!...

(١) أفاده سماحته من على منبر الجمعة في (١٠ من نوفمبر ٢٠٢٣م)، في سياق ضرورة تضامننا مع قضية غزة وأهلها المستضعفين بكلِّ ما نستطيع من مساعدة مالية وبدنية.

طبعاً، لن يفعل، فلماذا إذاً يرضى بأن يذهب الخَمس أو العَشر في المئة من دخله إلى حساب اليهود الذين يدبِّرون ويساهمون في قتل إخوتنا المسلمين في غزة وفلسطين.

كفاكم ما جمعتم من مالٍ! هلَّا تفتحون تجاراتكم الخاصَّة بكم، وتستثمرون فيها أموالكم، بدلاً من أن تروِّجوا لبضائعهم ومنتجاتِهم».





٥

ثمراتُ المقاومة، ومُبشِّراتُها، ورسالتُها إلى الأمَّة

(خطاب إيمانيٌّ بليغٌ لسـماحة العلَّامة الفقيه محمَّد تقي العثماني (حفظه الله تعالى وعافاه)، ألقاه يوم الجمعة من على منبر جامع دار العلوم كراتشـي في (٨) ديسمبر (٢٠٢٣م)، يضع بلسماً على آلام الأمة وجروحها، في ظلِّ الوضع المأسـاويِّ الراهن الحرج الذي تمرُّ به الأمة من خلال إبراز المبشِّرات الَّتي أسفرت عنها مقاومة مغاوير حماس في وجه العدوِّ الصهيوني الغاشم).

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمـد الله تعالى، والصَّلاة والسَّـلام على سـيِّد المرسلين...

قال اللهُ تعالـى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

نزلت الآيةُ تعقيباً على غزوة أُحُد، تسـليةً للمؤمنين، حين انقلبت عليهم المعركةُ ولحقَتهـم هزيمةٌ مؤَقَّتةٌ، ثمَّ استبدلها اللهُ تعالى فتحاً وانتصاراً.

• **خلفيَّة نزول الآية:**

وقد لقي سبعون من السادة الصحابة رضي الله عنهم الشهادةَ في سبيل الله، كما أُصيبَ النبيُّ الكريم ﷺ بجرح في وجهه، وكُسِرت سنُّه المباركة.

على أنَّه أُشـيع خبر شـهادته ﷺ، وكان كلُّ واحدٍ من الصَّحابة الذين ارتفعوا شـهداءَ إلى ربِّهم رجلاً بأُمَّةٍ، وكان

بمكانٍ عظيمٍ من الإيمان والعلم، والصبر والمثابرة، والجهاد في سبيل الله، وطبيعيٌّ أن يمثِّل فقدُهم خسارةً لا يُستهان بها.

هذا الوضعُ أدَّى إلى حالةٍ مــن الاضطراب والذُّعر، والوهن والحزن في صفِّ المسلمين.

وهنا أنزل اللهُ تعالى جملةً من الآيات الَّتي تمتدُّ على ثلاث «ركعات»، تعقيباً على هذه المعركة، وبياناً لأسبابها، وتسليةً لقلوب المؤمنين المنكسرة، وتثبيتاً لها.

ولكنَّ الخطــاب الذي تضمَّنته الآيــة الكريمة يتوجَّه بحكمِ عمومه إلى جميع المؤمنين إلى يوم القيامة.

وتناول قولُه تعالى الوعدَ بالعلوِّ إذا ما حقَّق المسلمون شــــرطَ «الإيمان»، كما هداهـــم إلـــى أنَّ هـــذه الهزيمة المؤقَّتة لا ينبغي أن تؤدي بهم إلى الهوان والحزن.

ومعلومٌ أنَّ القرآن الكريم كتاب هدايةٍ لجميع البشر، فإنَّ أيَّ آيةٍ تنزل فيه تحمِل هدًى لنا أجمعين، لأنَّ الشريعة الَّتي جاء بهـــا النبيُّ الكريـــم ﷺ باقيةٌ مخلـــدةٌ إلى يوم القيامة، وبالتالي فإنَّ كلَّ آية فيها دروس لجميع البشر في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

• ما أشبه اليوم بالبارحة:

وإنَّما قرأتُ بين أيديكم هذه الآية؛ لأنَّ المسلمين في أطراف العالم ـ حيثما كانوا ـ يساورهم قلقٌ وحزنٌ شديد جرَّاءَ ما يتابعونَه من مُسلسل القصف العدواني الذي يمارسه الكيانُ الإسرائيليُّ المحتلُّ، والذي ذهب ضحيتَه أكثرُ من عشرين ألفاً حتَّى اللحظة، ومعظمهم أطفال ونساء، حيث يفوق عدد الضحايا الأطفال ستَّة آلاف، وفيهم حديثو العهد بالولادة، وممَّن لم يتمَّ تسجيلُهم بعد، قصفهم بوحشيةٍ وهمجيةٍ شرسةٍ[1].

(١) المكتب الإعلامي الحكومي ينشر تحديثاً لأهم الإحصائيات المتعلِّقة بالحرب «الإسرائيلية» الوحشية على قطاع غزة، (الثلاثاء ١٢ ديسمبر ٢٠٢٣م) كالتالي: (٦٧) يوماً على الحرب الوحشية؛ (١,٦٤٤) مجزرة ارتكبها الاحتلال؛ (١٨,٤١٢) شهيداً (إجمالي)؛ (٨,٠٠٠) شهيد من الأطفال. (٦,٢٠٠) شهيدة من النساء. (٣٠٠) شهيد من الطواقم الطبية. (٣٢) شهيداً من الدفاع المدني. (٨٦) شهيداً من الصحفيين. (٧,٧٠٠) مفقود. (٥٠,١٠٠) جريح. (١٢٦) مقرّاً حكوميّاً دمَّره الاحتلال. (٧٥) مدرسة خرجت عن الخدمة. (٢٧٧) مدرسة تضرَّرت جزئيّاً. (١١٠) مساجد هدم كلي. (١٩٦) مسجداً تضرَّر جزئيّاً. (٣) كنائس تضرَّرت. (٥٢,٥٠٠) وحدة سكنية هدمها الاحتلال كليّاً. (٢٥٤,٠٠٠) وحدة سكنية هدمها الاحتلال جزئياً. (٢٢) مستشفى أخرجها الاحتلال عن الخدمة. (١١٠) مراكز صحية أخرجها الاحتلال عن الخدمة. (١٠٢) سيارة إسعاف =

- **فجائع مروِّعة:**

هذا الوضع المهول مصدرُ قلقٍ وتوجُّعٍ ليس للمسلمين فحسب، بل حتَّى لغير المسلمين، حين يشاهدون هذه المناظر المروِّعة، ويرونَ مئات الأطفال والنساء يرزحون تحت أنقاض المباني المتهدِّمة فوقَ رؤوسهم، وكم من البشر ضاعوا في متاهات الحرب إلى غير رجعةٍ!...

لا ريبَ أنَّ هذه الأحداث كلَّها تبعث على الألم والقلق والاضطراب.

ولكن هنا تتجلَّى أمامنا هذه الآيةُ الَّتي تُسلِّينا، كما تضع لنا في الوقتِ نفسِه خطةَ عملٍ للمستقبل.

وقد يقول بعض الناس: إنَّ مبادرةَ حماس تسبَّبت في قتل هؤلاء المسلمين في غزَّة، ولكن الذي يُثير استغراباً: أنَّه قد مرَّ شهران منذ بدء المعركة، ولكن لم نجد أحداً من أبناءِ غزَّة طيلةَ هذه الفترة القاسية يشتكي حماس بتحميلها عبءَ دمارِهم، رغمَ مسلسل معاناتِهم

= تضرَّرت نتيجة استهداف الاحتلال. (المكتب الإعلامي الحكومي، الثلاثاء ١٢ ديسمبر ٢٠٢٣م)

واستشهادِهم، وما يتحمَّلونه من الجوع والعطش، وحالةِ انقطاع عن العالم، ولكنَّهم مُصِرُّون على المقاومة، غير مستعدِّين للتخلِّي عن أرضهم قِيد شبر مهما كان الثمن.

وممَّا يبعث السرورَ أنَّ مبادرات حماس يُحالفها النصر، وأنَّ المحتلَّ الصهيونيَّ ما زال قاصراً عن مقاومة مغاويره، وقد دمَّر المجاهدون العشرات من أسباب حربهم وآليَّاتهم.

الواقع أنَّ المغاوير البواسل في حركةِ حماس أعطوا الأمةَ دروساً غايةً في الأهمِّية، نذكرها في المكتسبات الآتية:

- **المكسب الأوَّل: بعثوا قضيَّةَ فلسطين بعثاً جديداً:**

معلومٌ أنَّ قضيةَ فلسطين قديمةٌ، ظهرت منذ عام (١٩٤٨م) حين تسلَّط المحتلُّ الصهيونيُّ على أرضِ فلسطين، وبدأ مسلسل ظلمِه الطويل الذي لا يكاد ينتهي، ولم تخلُ سنةٌ إلَّا وقد قد ملؤوها ظُلماً وبطشاً وعدواناً على أهلِها المستضعَفين.

ولم يزل العالَم ـ طيلةَ هذه الحقبةِ ـ يبحث عن الحلِّ الآمنِ لهذه القضيَّة على طاولات الأُمم المتحدة، ومجلسِ أمنها (United Nations Security Council)، والرابطة العربية (Arab league)، مــن خــلال محاولات التفــاوض بينها. وجرَت سلســلةٌ من المفاوضــات والقــرارات الَّتي قد لا يُحصيها العدُّ، ولكنَّها في نهاية المطاف إنَّما أدَّت إلى إنساءِ القضية وإرجائِها.

ومن ثمَّ لا نجد على مســرح العالــم أيَّ حركةٍ تشارِكُ اهتماماتِها قضيَّةَ فلسطين، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحون.

كأنَّهم دفنوا هذه القضيةَ، زعمــاً منهم أنَّهم بمرور الزمان سيتعلَّلون بأنَّها: قضيةٌ ضربَ عليها القدمُ، وإذا لم تنحلَّ منذ خمسة وسبعين عاماً، فلا حاجةَ إلى إثارة هذا الموضوع الدفين الآن، ولندَعها كما هي مطويَّةً في ملفَّاتِ النسيان.

هذه نهاية مفاوضاتهم الَّتي طالما دخلوها حتَّى الآن، دونَ أن تتمخَّض عــن نتيجةٍ أو خطوةٍ عمليَّة تحسِــم القضيَّةَ.

ثمَّ إنَّ الدُّولَ الإسـلاميَّة الَّتي كانت ولم تزل ترفضُ الاعترافَ بإسرائيل، بدأت تعترفُ بها تدريجيّاً، ما نتج عن ذلك أنَّها شاركت في دفن هذه القضيَّة وإقبارها.

جزى الله تعالى مغاويرَ حماس الذين بعثوا هذه القضيةَ من جديدٍ، وجعلوها بمقاومتهم قضيّةَ العالم كلِّه، وصارت حديثَ نواديه ومجالسِه، ومحورَ أفكاره ومشاعره.

ولكأنَّ فلسطين اكتست حياةً جديدةً... هذا أوَّلَ نجاح حقَّقه مغاويرُ حماس بجهادهم وتضحياتهم.

ـ عجائب الاستعداد الحربيِّ للمقاومة:

ولم يكن هذا بالأمـر الهيِّـن؛ لأنَّ «حماس» ومنذ ثلاثٍ وعشرين سنةً كانت تأخذ أُهبتها، وتستعدُّ استعداداً لهذه المقاومة، وربَّما لا يَخفى عليكم أنَّهم حفروا أنفاقاً تحـت الأرض، يجاهدون من خلالها! وقد اسـتطاعوا حفرَها على مـدارِ هذه المدة الطويلـة بمنتهى المعاناة والصَّبر والمثابَرة.

سـمعنا أن هذه الأنفاق تمتدُّ شـبكتها على خمسمئة كيلومتر، وكلُّ نفَقٍ يذهب في العمق حوالَي أربعين متراً

على الأقلِّ، وبعضها أعمق من خمسين، بينما يصِل عمقُ بعضها إلى ثمانين متراً كما يُقال، واللهُ سبحانه أعلم.

لأنَّ القنابل مهما كانت ثقيلةً، فإنَّ تأثيرَ تفجيرِها لا يكاد يتجاوز ثلاثينَ متراً، وعليه فإنَّ هذا القصفَ العدوانيَّ لا يؤثِّر عليها في شيءٍ، بسبب عمقِها الذي يتجاوز مدى تأثيره.

وقد مرَّ شهران حتَّى اللَّحظة، ورغم الهجوم العدوانيِّ والقصف البربريِّ؛ فإنَّه لم يستطع بعدُ أن يكتشف أيَّ نفقٍ من هذه الأنفاق.

على أنَّ بريطانيا تبعث بطائراتها المتجسِّسة من أجل تفقُّد هذه الأنفاق للوصول إلى أسراهم، ولكنَّهم باؤوا بالفشل، بعدما جرَّبوا كلَّ ما لديهم من الآليَّات والمعدَّات، والأجهزة الحربية المتطوِّرة.

هكذا استخدمهم الله تعالى لنُصرة دينه...

يعيشون في هذه الأنفاق، من حيث يُضيِّقون على العدوِّ أرضَ الله بما رحبت، ويدمِّرون من دبَّاباتهم ما يتراوح بين خمسين وستين على مدارٍ يوميٍّ! وعاد العدوُّ يتوجَّسُ خيفةً أثناءَ الإغارة، ولا يكاد يتوسَّمُ: من أين سيخرج هؤلاء في

وجهه، ليهووا به في مكانٍ سحيق، وقد يقولون: أهؤلاء أشباح من الجنِّ، أم خلقٌ آخرُ؟! يخرجون مِكَرِّين مِفَرِّين ولا يلبثون أن يدمِّروا دباباتهم ويُعطِّلونَها، ثمَّ يختَفون.

والذين حفروا هذه الأنفاقَ بلغَنا عنهم أنَّهم غامَروا بحياتهم وأنفاسِهم من أجل هذه المهمَّة الشاقَّة، حتَّى ذابت أقدامُ بعضِهم، ولكنَّهم أبوا إلَّا أن يخوضوا هذه المعركةَ إعلاءً لكلمةِ الله تعالى، فهانت عليهم كلُّ هذه المثابرات.

ـ المقاومة انتصرَت في ساحة المعركة:

استهدف العدوُّ ـ حتَّى الآن ـ أكثر من عشرين ألف مدنيٍّ بريء، ولكنَّه لم يستطع بعدُ أن ينال من جنود المقاومة الباسلة إلَّا عدداً قليلاً يُعدُّ على الأصابع، بينما أزالت المقاومةُ من صفِّ العدوِّ أكثر من ألف إسرائيليٍّ بين جنديٍّ وجنرالٍ.

وهكذا، فإنَّ المقاوَمة كسبت هذه المعركة في الساحةِ.

ـ ما بين حرب (١٩٦٧م) والمقاومة الحاليَّة:

وإذا رجعنا إلى عام (١٩٦٧م) فإنَّ ثلاثة دول عربيَّة حاربت الكيانَ الإسرائيليَّ، وهي: مصر والأردن وسورية،

ولكن الكيانَ اســتطاعَ التغلُّب عليها في ستَّةِ أيام، ستة أيام فحسب.

لم تستطع جيوشُ ثلاثةِ دُوَلٍ محاربتَها في ستَّةِ أيّامٍ!...

ولكــنَّ المحاربين هذه المــرة هم مغاويــرُ حماس البواســل، الذين لم يســتكينوا حتَّى بعد مُضيٍّ شهرين كامليــن، وألحَقوا بالعــدُوِّ الإســرائيليِّ جروحاً لا يزال يلعَقها، ويئنُّ تحت وطأتِها.

ـ شعارُهم الإسلام وليس العروبة:

وذلك لأنَّ الحربَ الَّتــي خاضَتْها الدُّوَلُ العربيَّةُ حينَها كانت تحتَ لواء «القوميَّة العربية»، وتحتَ شعارات «العزَّة للعرب»، ولكن «حماس» تجاهِد ـ منذ يومِها الأوَّل ـ تحت لواء الإسلام، وتهتِف بشعارات: «العزَّة لله»، وترفع نداءات: «الله أكبر، اللَّهمَّ سدِّد» عند كلِّ رميٍ يوجِّهونه إلى العدوِّ.

أكثرهم حَفَظة للقرآن الكريــم؛ ينضمُّون إلى الحركة بعد تلقِّي الدروس الدينيَّة، ولم يكتفوا بتثقيف أنفســهم فحسب، بل قاموا بتربية أبناء غزَّة، ولذا تجدهم يهتفون باسم الله تعالى وهم على أنقاض بيوتهم المدمَّرة!...

وتجدهم يخطُّون أسماءَهم على سواعدهم؛ بغيةَ أن يكون ذلك وسيلةً للتعرُّف عليهم بعد استشهادهم.

هذه العاطفة الإيمانيَّة الَّتي رزقها الله تعالى الشعب الغزِّي الباسل أعظم نصرٍ حقَّقوه.

يعانون من الجوع والعطش، ولكنَّهم ثابتون صامدون، ولربِّهم حامدون، يواجهون تحدِّيات الموت بكلِّ معاني الجُرأة والإيمان، والبطولة والإقدام.

- **المكسب الثاني: فضحت المقاومة الكيانَ الإسرائيليَّ أمامَ العالم الإنسانيِّ:**

والمكسب الثاني الذي حقَّقته حركةُ حماس: أنَّها فضحَت الكيانَ الإسرائيليَّ أمامَ العالَم، إنَّها كشفت جرائمَه الحربيَّة، وعرَّت انتهاكاته العلنيَّة لقوانين الحرب العالميَّة الإنسانيَّة، وأوضحتْ عدوانه البهيميَّ بقصف النساء والأطفال والمدنيِّين الأبرياء، وتدميره للوحدات السكنيَّة المدنيَّة، والمستشفيات والمدارس، وغرف طوارئها، وإخراجها عن عملِها.

قد كشفت المقاومة السِّتار عن وجهه الحقيقيِّ الإرهابيِّ البهيميِّ، واقتنع العالم سواءٌ فيه المسلمون وغير

المســلمين الذين يقدرون للإنســانية قدرَهــا: أنَّ الكيانَ الإسرائيليَّ ليس إلَّا مجموعة من البهائم المتوحِّشة الَّتي تجرَّدت من آخر رمق من الشعور الإنسانيِّ.

وقد قام هؤلاء ـ من غير المســلمين الذين يحترمون القِيمَ الإنسانيَّة ـ بمظاهرات في أمريكا وغيرها من الدول الغربيــة؛ للتنديد بالعدوان الإســرائيليِّ الذي ينتهك كلَّ القِيم والقوانين الإنسانيَّة، ويدوسُها تحت قدميه.

بدأت جهود المقاومــة وتضحياتُها تؤتــي أكُلَها في أطراف العالم بإيقاظ الشعور الإنســانيِّ ضدَّ الظُّلم الذي يُمارسُه هذا الكيان.

صحيحٌ أن حماس لا تملِك تلك القوة الَّتي تتمتع بها أمريكا وإسرائيل، ولكنَّها تتمتَّع بقوةٍ استثنائية، لا تتمتع بها هذه القوى الكبيرة؛ وهي «القوَّة الإيمانيَّة»، النابعة من الإيمان بقدرة الله تعالى وبرحمته.

إنَّها القوَّة الَّتي تمنحهم الثباتَ والصمودَ رغم محاصرة الكيان لهم، ورغم هذه المحاصرة الطويلة لا يجد العدوُّ ثغرةً يتسلَّلُ من خلالها إلى أرضهم.

• رسالةُ القرآن الكريم في الظروف الراهنة:

وعليه، فإنَّ رسالةَ القرآن الكريم الَّتي تتوجَّه إلينا من خلال الآيــة الَّتــي تلوتُها عليكــم: أن نتحلَّــى بالإيمان الصــادق، وأن نراجع أنفسَــنا في جميع شــؤون حياتنا ونختبرها، فــإن كان ثمَّــة ما يُنافي مقتضيــات الإيمان؛ فلنتخلَّ عنه، لتتحوَّل حياتُنا كلُّها إلى حياة إيمانيَّة متكاملة.

إذا تمثَّل الإيمــانُ في جميــع أطوار حياتنــا بمعناه الصحيح؛ فإنَّ الله تعالى يقطَع لنا وعــداً لا يُخلفه، وهو الوعد بالعلوِّ والانتصار، والفلاح والازدهار.

• كيف نحيا الحياةَ الإيمانية المتكاملة الأبعاد؟:

قد لا نملك قــوةً كافية لنجدة إخواننــا المجاهدين، ولكن نســتطيع أن نحقِّق رســالةَ هذه الآية، ونطبِّقها في حياتِنــا بجميــع أنماطها الفرديَّــة والاجتماعيــة... إنَّها المسؤوليَّة الَّتي تتوجَّه إلينا في هذه الظروف.

فإذا استطاع كلٌّ منَّا أن يتحلَّى بمقتضيات الإيمان في عقيدته، وفي عبادته، وفي معاملاته، وفي معاشرته، وفي سيرتِه وأخلاقِه، ويتبنَّى حياتَه الإيمانيَّة بهذا المعنى؛ فإنَّه

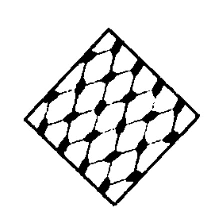
سيحقِّق لنا وعدَ الله المتمثِّل في قولِه: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الموفِّق، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.



مِسك الختام

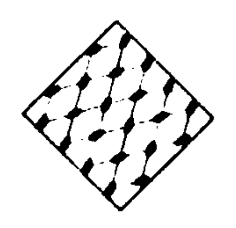
العالمُ الإسلاميُّ أمامَ لحظةٍ تاريخيَّةٍ فارقةٍ قلَّما يجود بِها الزمان



(كلمةُ مفتي باكستان التاريخيَّة الَّتي أحدثت دويّاً مشهوداً في أجواء العالم الإسلامي)...

(أدلى مفتي باكستان العلَّامة محمد تقي العثماني (حفظه الله تعالى ذُخراً للأمة) بتصريحاته الجريئة التاريخية في اجتماع عُلَمائيٍّ جماهيري بعنوان: «حرمة الأقصى وواجبات الأمَّة» في العاصمة الباكستانية، وذلك في (٦ ديسمبر ٢٠٢٣م).

وكانت قاعة الجناح للمؤتمرات مكتظَّة بالجماهير من جميع الطبقات، وبالعلماء والمشايخ الممثِّلين لجميع الأطياف والأحزاب والجماعات. وكان لكلمته ـ بفضل ما تمتَّعت به من الصَّراحة والواقعية، وتميَّزت به من الحماس الإيمانيِّ والجُرأة الخطابيَّة ـ صداها الاستثنائي في وسائل التواصل الاجتماعي؛ حيث انتشرت على أوسع نطاق، وتُرجمت إلى عدَّة لغاتٍ، وتناولها العلماء والكُتَّاب بالثناء والتعليق والتحبيذ، ووصفوها بأنَّها صوتٌ صادقٌ صريح جريء، يُترجم عن مشاعر المسلمين. وكانت كلمات جميع القادة الحضور قويَّة وداعمة، فجاءت كلمة سماحة المفتي العام لتكون كلمةَ الفصل ومسكَ الختام. وفعلاً، فقد أيقظت وعيَ الأمة وشعورَها، وأحدثَت جوّاً متكاملاً من التعاطف الشعبيِّ العامِّ مع القضيَّة بكلِّ ما تحملها من دور محوريٍّ في ميزان الأمَّة كما أعادت مفاهيمَها الخاطئة إلى نصابِها الصحيح، مُعــزِّزاً إيَّاها بمنطقه العقلانيِّ الَّذي ترك أبلغَ الأثر على العقول والقلوب. ولله الحمد والمنَّة).



بعد حمد الله تعالى، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد رسول الله...

أوَّلاً وقبلَ كلِّ شيءٍ: فإنَّنا جميعاً متَّفقون على أنَّ العدوانَ الوحشيَّ الذي يرتكبُه الكيانُ الإسرائيليُّ في حقِّ المَدنيِّين العُزَّل في غزَّة يُخالِف كلَّ القِيم الإنسانيَّة على طولِ الخطِّ، وأنَّه داسَ هذه القيم كلَّها تحت قدمَيه! ولم يعُدْ لدى العدوِّ الخسيس أدنى رمقٍ من الإحساس الإنسانيِّ.

وقد سبقَ إلى الحديث عن قضيّة فلسطين السادةُ العلماءُ قبلي، ولا أعيد عليكم ذلك، ولكن ثمّةَ نقاطٌ من باب سوء الفَهْم تجاهَ قضيَّة فلسطين، أريد بلوَرَتَها لإعادةِ المفاهيم إلى نصابِها الصَّحيح.

- **النقطةُ الأولَى: نطالِب بإيقاف الإجرام الحربيِّ، وليس بإيقاف الحرب العادلة:**

إنَّ العالَم اليوم بمنظَّماته العالميَّة ـ وبما فيها منظَّمة التعاون الإسلاميِّ (OIC) ـ يطالِب بوقف الحرب، وإيقاف

الحرب يَعني أن يمتنع الكيانُ المحتلُّ وفلسطين كلاهما عن مواصلة هذه الحرب.

ولكن الــذي ينبغــي أن نطالب بإيقافِــه هو القصف الإسرائيليُّ الهمجيُّ، وليس بإيقافِ الحرب.

وذلك لأنَّ أبطالنا البواســل المغاوير من «حماس» إنَّمــا يخوضون حــربَ التحرير تحتَ رايةِ الإســلام، ودفاعاً عن حقِّهم الذي ولدتْهُم أُمَّهاتُهم عليه ـ أحراراً ـ ضدَّ الكيان الذي تســلَّط على أرضهــم، واحتلَّها قَهْراً وظلماً وعُدواناً.

ـ ستستمرُّ المقاومة حتَّى تنتصر:

هــذه المقاومةُ لم تكــن لتتوقَّــف، ولا ينبغي أن تتوقَّف، وستَظَلُّ مستمرَّةً ضدَّ الكيان الغاصِب المُحتَلِّ ما لــم ينتــهِ احتلالُــه عــن أرض فلســطين برُمَّتها، وما لم يتمَّ القضاءُ على الكيانِ بجميعِ دبَّاباته وآليَّاتِه، وليبارِزهم الكيان الإسرائيليُّ المُحتلُّ ـ إن كانت لديه جُرأة ـ في ساحة المعركة، وجهاً لوجهٍ، بدلاً من قصفِ المدنيِّين العُزَّل الأبرياء.

وعليه، فإنَّ أيَّ مسلم واعٍ ـ بل أيَّ إنسانٍ يملك وعياً ـ لا ينبغي أن يُطالب بوقف هــذه الحرب، وإنَّما ينبغي أن يُطالب بوقف الإجرام الحربيِّ الذي يرتكبه الاحتلال من خلال قصف المدنيِّين الأبرياء.

وإنَّما يقصــف المحتلُّ الأطفــالَ والنســاءَ والأبرياء انتقاماً؛ للتغطية على هزيمتِه وخســائرِه الَّتي تكبَّدَها في مواجهة أبطالنا المناضلين.

• **النقطةُ الثانيةُ: لا لحلِّ الدولتَين:**

النقطةُ الثانيــةُ الَّتي أبغي عرضَها هنــا؛ هي: أنَّ القولَ بـ«حلِّ الدولتَيــن» ـ كما يكرِّر الدعوةَ إليــه الحُكَّامُ ومن يُحبُّون الأمنَ في فلسطين، بسببِ سوء تفاهُمهم ـ مرفوضٌ بتاتاً، لأنَّه يُنافــي موقفَنا الأصيل، ويُــؤدِّي إلى مُغالَطاتٍ شديدةٍ؛ لأنَّ معنى حَلِّ الدَّولتَين: أن تقوم هنالك دولتان في فلسطين، دولةٌ للكيان الإسرائيلي، وأخرى للفلسطينيِّين.

وإنَّ مُؤَسِّســي باكســتان أعلنوا منذ اليــومِ الأوَّل أنَّ الكيانَ الإســرائيليَّ «ولدٌ غيرُ شــرعي» للقــوى الغربيَّة، وما زلنا متمسِّكين بِهذه النظريَّة.

ومن ثَمَّ فإنَّا نرفضَ المطالبةَ بأن يُعطى الكيانُ المناطقَ الَّتي احتلَّها، ويبقى في نصيب الفلسطينيِّين: غزَّةُ والضفَّةُ الغربيَّة فحسبُ! وكيف سنقبل ذلك ونحن لم نعترف بالكيانِ الإسرائيليِّ منذ يومِه الأوَّل.

ـ باكستان لن تتخلَّى عن موقفها الأصيل:

لا يمكن لباكستان أن تتخلَّى عن موقفها الأصيل الذي ارتآه مؤسِّسُها القائد العام محمد علي جناح تجاهَ قضية فلسطين، وهو حلُّ «الدولة الواحدة».

فلسطين للفلسطينيِّين فحسب! وإنَّ القولَ بـ«حلِّ الدولتَين» يعني الاعترافَ بإسرائيل، ولا يَحقُّ لأَيِّ دولةٍ مسلمةٍ أن تعترف بِها.

• النقطةُ الثالثةُ: حماس حركةٌ تحريريَّةٌ سياسيَّةٌ وليست إرهابيَّةً:

جرت عادةُ الدول الغربيَّة ـ وفي طليعتها أمريكا ـ أنَّ أيَّ شعبٍ ينهض لمقاومة المحتلِّ الغاصِب لاسترداد حقِّه؛ فإنَّهم يكثِّفون الدِّعايةَ ضدَّه ويسِمُّونَه بالإرهابيِّ... وقد أدَّى ذلك إلى سوءِ تفاهُم في العالَم كلِّه وحتَّى في الدُّول المسلمة الَّتي ترزخ تحتَ التأثيرِ الغربيِّ.

هذه سياستُهم الَّتي مارسوها بحقِّ مجاهدينا في كشمير المحتلَّة، كما مارسوها في أفغانستان؛ حيثُ وسَمُوا حركةَ طالبان بأنَّها جماعةٌ إرهابيَّةٌ، ولكن شاء الله أن يضطرُّوا ـ رغمَ كلِّ دِعاياتِهم تلك ـ لإجراءِ مُفاوضات السَّلام معهم على الطاولة؛ مفاوضةَ النِّدِّ للنِّدِّ؛ أثمرت مقاومتُهم، ومهَّد الله تعالى لهم بفضلِها طريقَ الفتح والانتصار بحمد الله... وقد حان لِهذا التاريخ أن يُعيد نفسَه في أرض فلسطين، بإذن الله تعالى.

وإنَّ حركةَ حماس تُمثِّل قوةً سياسيَّةً، وتمثِّل فلسطينَ كلَّها، وليست مجموعةً من المحاربين... وإنِّي لَيُؤسِفُني أن أرى وسائلَ الإعلام تصِفهم بالمحاربين أو المقاتِلين... إنَّهم في الواقع مجاهدون في سبيل الله.

وقد تحدَّث إليكم سماحةُ الأستاذ ناجية بأنَّ أكثرَ هؤلاء المقاوِمين في حركة حماس حَفَظةٌ لِلقرآن الكريم كُلّاً أو جزءاً، ويتلقَّون تربيةً دينيَّةً إصلاحيَّةً قبل الانضمام إلى الحركة، ولكنَّهم ـ كعادتِهم ـ يصِفونِهم بالإرهابيِّين! والحقُّ أنَّ الإرهابيَّ هو الكيانُ الإسرائيليُّ،

الَّذي عاث في أرض فلسطين فساداً، وبدأ مسلسلَ الدمار والإبادة الجماعية فيها منذ خمسة وسبعين عاماً.

- **النقطةُ الرَّابعةُ: بماذا تأمرنا الشَّريعة الإسلاميَّة تجاه فرضيَّة الجهاد؟:**

إنَّ حكوماتِنا تدعمُ إخوانَنا المجاهدين بعبارات كلاميَّة، وشيءٍ من الجهود الإغاثية والمساعدات الإنسانيَّة، وفَّقها الله تعالى لذلك، ونحن نقدِّر لها ذلك، ولكن المؤسِف في الموضوعَ أنَّها لم تتَّخِذ بعدُ خطوةً عمليَّةً حاسِمةً، كما أشار إلى ذلك الأستاذ ناجية المحترم، وقد أخبرَنا: أنَّهم لا يطالبوننا بالدعم العسكريِّ، ولكن يطالبون بألَّا نقصِّر في أقصى ما يمكن أن نقدِّم من دعمٍ للمدنيِّين والمجاهِدين.

ولأعرض عليكم حكمَ الشريعة الإسلاميَّة في هذا الخصوص، عندما يتمُّ احتلال أرض من أراضي المسلمين، أو الاستيلاء عليها، فإنَّ الجهاد يصير فرضاً على مُسلميها، ثمَّ تتعدَّى هذه الفرضيَّة إلى مُسلميها

المجاورين، وهكذا يتعدَّى إلى غيرهم درجةً بعدَ درجةٍ، فيصير فرضاً على كلٍّ منهم بقدر استطاعته(١).

وأنا بصفتي طالبَ علم أُعلن هنا أنَّ الجهادَ فرضٌ على جميع مسلمي العالم بقدرِ استطاعتهم، بمعنى أنَّ الكُلَّ مُكَلَّف فَرضاً أن يُمِدَّهم بكُلٍّ ما يستطيع.

وسأقرأ عليكم آيتَين من القرآن الكريم، وينبغي أن تكونا رسالةَ هذا الاجتماع إلى جميع المسلمين:

ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا

---

(١) قال ابن عابدين في حاشيته (رد المحتار: ١٢٤/٤): «وَعِبَارَةُ الدُّرَرِ: وَفَرْضُ عَيْنٍ إنْ هَجَمُوا عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَيَصِيرُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْجِهَادِ، وَنَقَلَ صَاحِبُ النِّهَايَةِ عَنْ الذَّخِيرَةِ: أَنَّ الْجِهَادَ إذَا جَاءَ النَّفِيرُ إنَّمَا يَصِيرُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى مَنْ يَقْرُبُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَمَّا مَنْ وَرَاءَهُمْ بِبُعْدٍ مِنَ الْعَدُوِّ، فَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَسَعَهُمْ تَرْكُهُ إذَا لَمْ يُحْتَجْ إلَيْهِمْ، فَإِنِ احْتِيجَ إلَيْهِمْ بِأَنْ عَجَزَ مَنْ كَانَ يَقْرُبُ مِنَ الْعَدُوِّ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ مَعَ الْعَدُوِّ، أَوْ لَمْ يَعْجِزُوا عَنْهَا، لَكِنَّهُمْ تَكَاسَلُوا وَلَمْ يُجَاهِدُوا؛ فَإِنَّهُ يُفْتَرَضُ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ فَرْضَ عَيْنٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، لَا يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ، ثُمَّ وَثُمَّ إلَى أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرْقاً وَغَرْباً عَلَى هَذَا التَّدْرِيجِ».

مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

ـ واقرؤوا معي أيضاً قولَه سبحانَه في سورة التوبة: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

• **رسالتي الأخيرة:**

قد وُجِّهَت إلى الحُكَّام انتقادات لا بأس بِها في هذا الاجتماع، حيث إنَّها جاءت في محلِّها المناسب إلى حدٍّ كبيرٍ، ولا غروَ، فنحن مُكَلَّفون بإبلاغ ما نراه صواباً إلى الحُكَّام من منطلَق النُّصح لهم(١)، ومن هنا أريد أن أقول لهم ـ في جوٍّ من التفاهم وليس التخاصم ـ وهذا كلامٌ يُحدِّثني به قلبي، وأقولُه مدفوعاً إليه بعاطفةِ النُّصح، وبعدَما دعوتُ الله تعالى واستخرتُه:

---

(١) إشارة إلى قول النبيِّ الكريم ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**». أخرجه مسلم في صحيحه، ط: التأصيل: ١/٤٠٦، برقم: (١٠٦).

ـ إنّه منعطَف تاريخيٌّ فارِق:

«إنَّه قـد تأتي في تاريـخ الأُمَم والشـعوب لحظاتٌ تتطلَّب قراراً سـديداً حاسـماً، وإذا لم يتَّخذوا فيه القرارَ السَّـديدَ ـ بِهمَّة وجرأةٍ وصبـرٍ وجهاد ومثابَـرةٍ ـ فإنَّهم يتجرَّعون ويلاتِه قروناً، تماماً كما قال أحدُ الشـعراء (في الأرديَّة ومعناه): قد تُخطئ اللَّحظات، ولكن ينال عقابَها القرونُ الطويلات، ورُبَّ لحظةٍ بوزنِ قرنٍ.

ـ معاناةُ التبعيَّة للغرب:

كُلُّكم يعلَم ويَعـي أنَّنا نعيش حالةً مـن العبوديَّة للغرب؛ العالَم الإسـلاميُّ الممتدُّ على خريطةِ العالم من أقصاه في المغرب، إلى أقصاه في إندونيسيا، يُعاني من تبعيَّة الغـرب في ميادين الحياة كلِّها، سياسـيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً.

ـ ثروةُ العالَمِ الإسلاميّ وخطورتُه الاستراتيجيَّة:

وهنا نتساءل: إلى متى ستدوم هذه العبوديَّة؟ في حينِ أنَّ العالَمَ الإسـلاميَّ العريـض قد رزقَـه الله تعالى من الثروات الطبيعيَّة ما لم يرزقه أحداً من العالمين.

العالَم الإسلاميُّ يحتلُّ وسطَ العالم ومركزَه، ويمتلِك الممرَّاتِ المركزيَّة الَّتي تُخوِّله حقَّ التحكُّم في غيره أخذاً ومنعاً.

ولديه مضيق «البوسفور»، ولديه قناةُ «السويس»، ولديه أيضاً خليج «عدن»، ولديه مضيق «هرمز»، على أنَّهم أربابُ «الذهب السيَّال» ـ النفط ـ والغاز، ويتمتَّعون بأغنى ثروات العالم!...

ـ فلماذا بعدَ كلِّ ذلك هذه العبوديَّة الَّتي نعيشُها؟:

السببُ كما أخبرنا به سيِّدنا الرسول الكريم ﷺ حين تنبَّأ عن قُرب العهد الذي سيؤول المسلمون فيه إلى هذا الضعف والاستكانة، وسأله بعضُ الصَّحابة رضي الله عنهم: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ**».

فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: «**حبُّ الدُنيا، وكراهيةُ الموتِ**»[1]، وأنَّهم سيهجرون الجهادَ في سبيل الله. وهو الوضع الذي نعيشُه في عصرنا.

(١) سنن أبي داود، ت: الأرنؤوط: ٣٥٥/٦، برقم: (٤٢٩٧)، ولفظُه: عن ثوبانَ، =

وقد أتاحت اليوم «حماس» فرصةً للأمة الإسلامية لكسب الحرِّية واستعادتِها، ولكسر طَوق العبوديَّة عن أعناقها.

ـ إلى استراتيجيَّة دفاعيَّة موحَّدة:

فإذا توحَّد العالَم الإســـلاميُّ كلُّه ليتناصـــرَ معه صفّاً واحداً، ويتَّخذ من أجل ذلك استراتيجيَّةً دفاعيَّةً مشتركةً؛ فأنا على يقيـــنٍ بأنَّ أمريـــكا وبريطانيا والقـــوى الغربيَّة لا تستطيع أن تمسَّها بأيِّ سوء.

لماذا؟ لأنَّ الرُّبوبيَّة ليست لأمريكا، الرُّبوبيَّة لله وحده ربِّ العالمين، والقوة العظمى ليســـت هي أمريكا، وإنَّما القوَّة العُظمى لله وحدَه!...

ـ سنقاوم، فإمَّا نصر أو استشهاد:

وعليه، فإذا قرَّرنا أنَّنا ســـنقاوم حتَّى آخر لحظةٍ مهما عانينـــا وجاهدنا... ســـنقاوم لـــو اتخذنا حياةَ الشَّـــظَف

= قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يوشِـــكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها**»، فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيـــرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّـــيلِ، ولَيَنْزِعَـــنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكـــم الوَهْنَ**»، فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: «**حبُّ الدُنيا، وكراهيةُ الموتِ**».

والمثابرة شعاراً، سنقاوم ولو ربطنا ببطونِنا أحجاراً، سنُقاوم ولو تلقَّينا على صدورنا قنابلَ ورصاصاً.

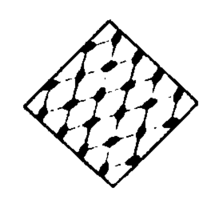
إذا قاومنا بِهذا الإيمان، لن تستطيع أيُّ قوَّة على وجه الأرض أن تقهرَنا ولو كانت بحجم أمريكا وما إليها...

فاللهَ نسأل أن يُبصِّرنا بِهذه الحقيقة، ويفتح بِها أعيننا، ويشرح لها صدورنا، ويوفِّقنا في ضوئها للتخلُّص من عهد عبوديَّتنا.

إنَّه تعالى على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.



البيان الختاميّ
لمؤتمر: «قداسة الأقصى
وواجب علماء المسلمين» (معرَّباً)





بسم الله الرحمن الرحيم

(دعا سماحة المفتي العام الشيخ محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى علماء المسلمين، وأئمة مساجدهم، وخطباء منابرهم ـ الذين جمعهم مؤتمر الأقصى تحت قيادته في (١٥ يناير ٢٠٢٤م) في كراتشي، على اختلاف أحزابهم ومدارسهم الفكرية، وبحضور زعيم من حماس، هو الدكتور زهير ناجية ـ إلى إحياء قضية الأقصى في نفوس الشعوب المسلمة؛ لكي تظلَّ حيةً ناميةً لا تخمد نارها بمرور الأيام...

مؤكِّداً أنَّ قضية فلسطين ليست مجرَّد قضية أرضٍ اغتُصبت، كقضية كشمير، وميانمار (وإن كان ذلك سبباً كافياً لفرضية الجهاد أيضاً)، ولكنَّها تكتسب قداستَها الدينية المتميزة من المسجد الأقصى، الذي هو أولى القبلتين، ومسرى رسولنا الكريم ﷺ، والذي بناه الملائكة

كما بنو الكعبة، موثِّقاً ذلك ببعض الروايات الحديثيَّة، وبالتالي فإنَّ العدوان عليه قد لا يقلُّ عن العدوان عليها.

وأضاف: إنَّ الإنفاق في سبيل نصرة أهل القرية الظالم أهلها، خيرٌ من الإنفاق في العبادات النافلة، بما فيها العمرة النافلة، وأشار هنا إلى قصة الإمام عبد الله بن المبارك الذي تراجع عن قافلة الحجِّ لينصر عائلة فقيرة تتقوَّت على الجيفة.

وأفاد: إنَّ الكيان الصهيوني ثعبانٌ يجب قمع رأسه قبل أن يتمدَّد، ويبتلع الشرق الأوسط، وفق خططه المعلنة تحت عنوان: إسرائيل العظمى.

وتفاءل مُبشِّراً : إنَّ المسلمين سينتصرون في نهاية هذه المعركة، كما انتصروا فيها حتى الآن، حيث سوَّوا شوكةَ الكيان الصهيوني بالأرض، ورغَّموا أنفه في التراب.

ونعرض فيما يلي نصَّ البيان الختاميِّ الذي دبَّجه يراع سماحته، وأمضاه المؤتمر بالتوافق الكلِّي عليه، معرَّباً من الأردية إلى العربية).

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين:

انعقد هذا الاجتماع، الذي يمثِّل علماء مدينة كراتشي وقادتَها بعنوان: «حرمة الأقصى وحقوق فلسطين، ومسؤوليات العلماء تجاهها» بتاريخ يوم الاثنين (٣ من رجب المرجب ١٤٤٥هـ ـ الموافق ١٥ من يناير عام ٢٠٢٤م) في فندق «ريجنت بلازا» بكراتشي ـ باكستان. حيث تضامن العلماء والزعماء ـ الذين يمثِّلون مدارس الفكر المختلفة ـ مع قضية تحرير الأقصى، والإخوة الفلسطينيِّين من خلال خطاباتهم الجادَّة، وتوصَّلوا إلى التوافق على البيان التالي:

أوَّلاً: الكيان الإسرائيلي منذ تأسيسه غير الشرعيِّ يمارس أبشع أنواع الظلم والاضطهاد بحق المدنيِّين في فلسطين، وقد اكتمل على مقاومة مجاهدي حماس الباسلة في وجه هذا الظلم الوحشيِّ مائة يوم. وقد ارتكب الكيان الإسرائيليِّ أبشع أشكال الإبادة الجماعيَّة في غزَّة إبَّان هذه الفترة، حيث أسقط ظلماً وعدواناً أكثر من ثلاثين ألف مدنيٍّ شهيداً، سبعون في المئة منهم نساء وأطفال، بالإضافة إلى استهداف (١٤٢) مسجداً، وثلاثة كنائس، والكثير من مستشفيات غزَّة، حيث ذهب ضحية العدوان

المواليــد الرضَّع، حتــى تجاوز ظلمهم إلــى قتل (١١٧) صحفيّاً وإعلاميّاً، و(٤٥) من رجال الدفاع المدنيّ، ودمَّروا (٦٩٢٠٠) وحدة سكنية تدميراً كلِّياً، ودمَّروا (٢٩٠٠٠٠) وحدة سكنيَّة تدميراً جزئيّاً.

إنَّ هذه المجازر كانت ولم تزل تحت ســمع وبصر القــوى الغربية، التــي تزعم أنَّهــا رافعة لــواء الحقوق الإنســانيَّة، ولكنَّهــا بالرغم من ذلــك تشــارك الكيانَ الإســرائيلي جرائمَــه، بالتضامن معــه، وإمــداده ماليّاً وعسكريــاً، ولا تلقي بالاً لاحتجاجات شعوبِهم الجديرةِ بالثناء، والتي يقودونها حبّاً بالعدل.

ثانياً: إنَّ فلســطين كلّهــا لســكَّانها الأصليّين، الذين شُــرِّدوا عن بيوتهم ظلماً وقهراً وعدواناً، وأقيمت مكانها مستوطنات لليهود، الذين تمَّ استيرادُهم من مختلف أقطار العالم، وبالتالي فإنَّ الشــعب الفلســطيني يتمتَّع بالحقِّ الكامل للمقاومــة ضدَّ هــذا العدوان. ولكن المســجد الأقصى الذي هو قبلتنا الأولى ومسرى رسولنا الكريم ﷺ إلى المعراج يُمثِّل «أمانة» للأُمَّة المســلمة كلِّها، وبالتالي فإنَّ تحريرَه مسؤولية الأمَّة جمعاء.



ثالثاً: إنَّ مقاومة حماس الراهنة جهادٌ دفاعيٌّ عظيم على أساس الإسلام خالصاً لوجهه، تماماً كما أعلنه مجاهدو حماس وأبطالها مراراً وتكراراً. وهذا الجهاد يهدف إلى تحرير القبلة الأولى، ومسرى معراج خاتم الأنبياء ﷺ من الاحتلال الصهيونيّ. وإنَّ من دأب القوى الغربيَّة ولاسيَّما أمريكا أنَّها تسمي المجاهدين الذين يجاهدون من أجل التحرُّر من قوة محتلة كافرة بـ: «الإرهابية»، وقد ألصقوا نفس اللقب بحماس، مع أنَّها في الواقع تمثِّل قوَّة سياسيَّة منتخَبة شعبيّاً، وتكافح من أجل تحرير أرضها التي احتلَّها الكيان الإسرائيليِّ، وله كلُّ الحقِّ في ذلك.

رابعاً: إنَّها الحرب الأولى من نوعها التي خاضها المجاهدون، وكسروا بفضل من الله تعالى شوكة الكيان الإسرائيليِّ وسوَّوها بالأرض، وألحقوا به رغم فقد القوى الجوِّية أضراراً بدنية وماليَّة جسيمة، ولم يستطع الكيان الإسرائيليِّ خلال مئة يوم الماضية أن يستحوذ عليهم في أيِّ مرحلة، بل جرَّ أذيال الخيبة في أكثر من منطقة.

خامساً: إنَّ هذا الاجتماع العلمائيّ يُريد توضيحَ الحكم الشرعيِّ، الذي يفيد أنَّه عندما يتم احتلال إحدى أراضي

المسلمين غصباً فإنَّ الجهاد يصير فرضاً على مسلميها، وإن لم تكف قوتهم لذلك، فإنَّ الجهاد يصير فرضاً على من يجاورها درجةً بعد درجة، حتى يتحقَّق القضاء على العدوِّ، بالإضافة إلى ذلك، يُفترض على الأُمَّة المسلمة بذل كلِّ ما في وسعها لتحرير المسجد الأقصى من أيدي الظالمين.

سادساً: إنَّ المجتمعين في هذا المؤتمر يشعرون شعوراً عميقاً بأنَّ الأمَّة تمرُّ بلحظةٍ تاريخية فارقة قلَّما يجود بها الزمان، وكان من متطلَّباتها أن يتوحَّد العالم الإسلاميّ ـ الممتدّ من إندونيسيا إلى مراكش والمتمتع بالوسائل الطبيعيَّة والمكانة الاستراتيجيّة ـ ويتخذَ خطَّةً دفاعيّةً مشتركة، ويُحقِّق نموذَج الجسد الواحد للأُمَّة كلّها مهما كانت انتماءاتها الوطنيَّة، ولكن مع الأسف فإنَّ العالم الإسلاميّ لم يستطع بعد أن يدرك على مستوى الحكومات أنَّ الكيان الإسرائيليّ وفق خططه المعلنة يسعى جاهداً لابتلاع الشرق الأوسط كلِّه، وعليه فإنَّ التخاذل عن نصرة فلسطين في هذه المرحلة الحرِجة البالغة الحساسية يمكن أن يجرَّ ويلاتٍ خطيرة على مستقبل العالم الإسلاميِّ.

وهنا فلنقرأ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٥ ـ ٧٦].

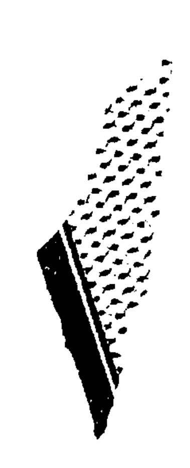
سابعاً: نُشيد بالمساعدات التي بعثت بها الحكومة الباكستانية لنصرة أهلنا في غزَّة، ولكنَّنا نُطالب الحكومة بأن توفِّر لعامَّة المسلمين سُبل إيصال المساعدات لإخوانِهم.

ثامناً: نلتمس من المسلمين ومن جميع أحرار العالم أن يواصلوا مسيراتِهم الاحتجاجيَّة الآمنة في عموم العالم، وأن يكشفوا للعالم الفطرةَ غير الإنسانيَّة للكيان الإسرائيليِّ، بإخبارهم عن مجازره الوحشيَّة.

تاسعاً: نُهيب بالمسلمين وبجميع أحرار العالم أن يقطعوا علاقاتِهم الدبلوماسيَّة ـ إن كانت ما زالت قائمة ـ مع الكيان الإسرائيلي، وأن يقطعوا كذلك حبل العلاقات التجارية معه، وأن يقاطعوا منتجاته مقاطعة كلِّية.

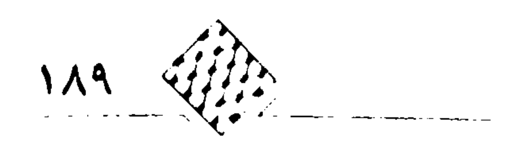
عاشراً: نُهيب بأئمة المساجد وخطبائها أن ينوِّهوا في خطاباتهم بفضائل المسجد الأقصى وأهمِّيته، وبفتح سيدنا عمر الفاروق لبيت المقدس، وفتوحات السلطان صلاح الدين الأيوبي وأن يقوموا بتوعية الشعب تجاه أهمية تحرير المسجد الأقصى، ولكي تبقى قضية فلسطين حيَّة في نفوسهم ينبغي إيقاظ الوعي بخطورتها، كما ينبغي أن يؤكِّدوا على مقاطعة المنتجات الإسرائيلية، وغيرها ممَّا يخدم مصلحة الكيان الإسرائيلي بواسطة أم بدونها.

حادي عشر: نُهيب بأئمة المساجد وخطبائها أن يشاركوا أقصى قدر ممكن في دعم حملة الإمداد الماليّ التي تقودها مؤسَّسات مختلفة، لإعانة أهل غزَّة المتضرِّرين ولمجاهديها، وأن يطلقوا حركة شاملة لمساعدتهم من حيث يتيسَّر للشعب كلِّه أن يساهم فيها، باعتبارها فريضةً دينيّةً.




الفصل الأوّل
فلسطين بالأمس

الفصل الثاني
فلسطين اليوم



مِسك الختام

العالمُ الإسلاميُّ أمامَ لحظةٍ تاريخيَّةٍ فارقةٍ قلَّما يجود بِها الزمان

البيان الختامي
لمؤتمر «قداسة الأقصى
وواجب علماء المسلمين» (معرَّباً)





تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق 0096311 2229177
الدار الشامية - بيروت 009611 857222
kalam-sy@hotmail.com DarAlQalam_sy

9 789933 293642